قَيْس وَلُبْنَى

شعْر وَدراسَة

جمع وتحقيق وشرح

دكتور حسين نصار

وكيل كلية الآداب – جامعة القاهرة

الناشر : مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي "الفجالة"

سعيد جوده السحار وشركاه

دار مصر للطباعة

٣٧ شارع كامل صدقي

بكاء فى قـــواف عامـــرات   سرت فى البيـــد مشرقة وضاء
فكن لكل موصـــــول غناء   وكن لكل مهجـــــور رجاء
وكن شذى يضوع بكل خدر   وراحا ينقـــع المهج الظمـــاء

عزيز أباظة : قيس ولبنى

« عاشق شفهّه التبريح، ووامق لم يشفه التصريح ... تيمه حب لبنى، وهيّمه هواها فما أغنى، أصبته محسنا، وسبته بمحيا كالبدر أو أسنى ... جلبت له حزنا طويلا، وجنت له من روض حسنها مرعى وبيلا. تزوج بها وهو بها كلف، وبحبها شغف. ثم أدمن مجالستها، وأدمن مؤانستها، وولع بتأمل محاسنها، وتنقل نظره فى رؤية أحاسنها، حتى طبع هواها على قلبه، وطلع أنينه بما قطع من خلبه. وألف لأجلها ظل الخباء لا يفارقه، وأنكر فضل الحياء كأنه ما دبت بخده شقائقه.

فعز هذا على أبيه ... وطالبه بطلاقها فأبى، وأبى أبوه إلا أن يذيقه مرارة فراقها على صبى. ثم لما رأى إصراره على حب لبنى، واستمراره على حاله المعنىّ، أصحرَ أبوه وآلى ألا يستظل ببيت حتى يلقى حبها على غاربها، ويُلحق خطاها ببيت أقاربها، وكان أوان حر تلفح هواجره، وينفخ بالسموم ناجره. فأقبل كهول الحى على قيس يلومونه على حقوق أبيه، ويخوفونه عقوق أمره فى امرأة تُصْبيه. ثم ما برحوا به حتى طلقها. فما انطلقت إلا هى ولبه، وفارقها فما فارقته إلا ومعها قلبه. ووجد بها وجدا أقلق مضاجعه، وقلقل فى المآق مدامعه. وزوجه أبوه بامرأة غيرها ليسلو لبنى، ويخلو معها أياما ينسى بها لياليه الحسنى. فما وقعت الثانية منه موقعا، ولا وجدت فى قلبه موضعا. فبتّت فراقها، وبتّ طلاقها.

ثم الناس فى قيس على قسمين: فمنهم من زعم أنه ردها، ونعم بها ليل التمام يفترش مُبردها؛ ومنهم — وهم الجمهور — على أنه بقى بخباله، صريع هوى ما أفاق، وقريع جوى مُنيَ من أحبابه بالفراق ».

ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

اتفق كل من كتب عن الغزل فى الأدب العربى ، أو عن العصر الأموى من عصور هذا الأدب : أن الغزل ازدهر ازدهارا كبيرا فى ذلك العصر ، وعم الاهتمام به ، وشاع الإسهام فيه ، بين جميع أوساط المجتمع العربى ، واختلف اختلافا بينا عما كان يعالجه الجاهليون قبل ، وتعددت ألوانه ، بين غزل تقليدى ، وعذرى ، وإباحى . وأطلقت الأوصاف المختلفة ، والأسماء المستقلة على كل لون من هذه الألوان الغزلية ، الصادرة عن أجناس متنوعة من الحب .

واتفق الكاتبون جميعا على استخراج أسباب هذه الظاهرة من المجتمع العربى . ورأوا أن هذا المجتمع خضع لمؤثرات بعيدة كل البعد عما كان يخضع له المجتمع الجاهلى، فباعدت بين ما عرف المجتمعان من الحب ، وما أخرجا من الألوان الغزلية المعبرة عن هذا الحب. وردوا هذه المؤثرات إلى حدثين عظيمين : انبثاق الإسلام ، وامتداد الخلافة . فالدين الجديد أمدهم بمثل أخلاقية ، وسما بنزعاتهم البشرية ، فوصل بهم إلى الحب العفيف ، أو إن شئنا الدقة ، الحب الذى لا تستبد به النزعات الحسية المادية ، التى تتمثل فى أغلب شعر الجاهليين . وهيأت لهم الخلافة أصنافا من الترف والرغد والنعيم ، أرهفت أحاسيسهم ، ورققت أخلاقهم ، وجعلتهم يعيشون للحب . واختط الأمويون سياسة أبعدت الشبان من أبناء المسلمين الأولين ، الذين يخاف منهم الطموح والسعى وراء المجد عن أمور السياسة ، وعزلتهم فى الحجاز . وأغرقتهم بالأموال والملذات . فكانت كل العوامل تدعو هؤلاء الشبان إلى اللذة : اللذة العفيفة أو الجريئة . فكان الحب وكان الغزل . وكانا متعددى الألوان والأصناف .

واطمأن الكتاب إلى هذه العوامل التى عثروا عليها، وإلى تلك النتائج التى

وصلوا إليها كل الاطمئنان . فتقبلها اللاحق من السابق ، وأدارها على لسانه أو قلمه ، مع تغيير فى العرض أو اكتفاء بالاتباع أو الاقتباس .

بل ذهب كاتب حديث إلى أن هذا الغزل لا يمكن أن ينتجه غير العصر الأموى ، لما اجتمع فيه من عوامل ذكرت . قال ذلك الباحث عن الغزل العذرى (١) : « فلم يكن من الممكن أن يظهر هذا الغزل بقدسيته وطهارته قبل عصر بنى أمية . لم يكن من الممكن أن يظهر فى عصر الخلفاء الراشدين بالرغم من أن تمثل التقى والصلاح كان فى عصر الراشدين أشد وضوحا منه فى عصر الأمويين ، وبالرغم من أن الانعتاق من بعض الحدود ، والتحلل من بعض النواهى ، والتحرر من بعض التشدد ، وجد مجالا فى العصر الأموى بأكثر مما كان فى عصر الراشدين ... » .

ولا شك أن المقدمات التى قدمها هؤلاء الكتاب ، والعوامل التى كشفوا عن تأثيرها فى المجتمع العربى الأموى ، حقة وواقعة ، لا شك أنها قد كانت . ولا شك أن الغزل ازدهر فى ذلك العصر . ولكنى أشك فى ارتباط النتائج التى وصلوا إليها بالمقدمات التى قدموها . فالقيم المستمدة من الدين الجديد تتفق مع الحب العذرى ، لكنها تعارض الحب المحقق أو الإباحى كل المعارضة . والترف يتفق مع الحب المحقق ، ولا يعارض الحب العذرى كل المعارضة ، كما لا يوافقه كل الموافقة ، وإن كنت أظن أنه أقرب إلى المخالفة . وكأنما اقتصر العامل الدينى على لون واحد من الحب هو العذرى ، وانفرد العامل الحضارى بلون آخر هو الحب المحقق . ولما كان الحب العذرى شائعا فى البادية ، والحب المحقق فى المدن ، كان لنا الحق أن نرى أن تصديق ما قالوا يقتضى أن العامل الدينى كان أقوى فى البادية منه فى الحضر . والمعروف بين الدارسين خلاف ذلك ، أعنى أن الدين أكثر تأثيرا فى المتحضرين منه فى المتبدين ، أو بعبارة أخرى فى أهل المدن منه فى الأعراب . ولست بحاجة إلى الاستشهاد بالقرآن والحديث ، ومنع المهاجرين إلى المدينة من المسلمين من سكنى البادية بعد هجرتهم ، للتدليل على ذلك ، فكله أمر مشهور .

---

(١) تطور الغزل ٢٣٤

ربما كان حقا أن اجتماع العوامل السياسية والحضارية أبرز الحب المحقق ، والغزل الإباحي ، ورواها حتى ازدهرا وأينعا ، فظهر عمر بن أبي ربيعة ، والعرجى ، والأحوص .

ولكن الحب العذرى ، والغزل العفيف ، لها شأن آخر .

هذا الحب العفيف ، الذى قيل عنه ما قيل ، اشتهرت به قبيلة عربية ، فعرفت به ، وعرف بها ، ونسب إليها ، فقيل الحب العذرى . فإذا أردنا أن نعرف العشاق من بنى عذرة ، وجدنا جميل بن معمر وعروة بن حزام ، ونكاد لا نجد أحدا آخر منهم . فمجنون ليلى من بنى عامر ، وقيس بن ذريح من بنى كنانة .

كذلك اشتهر أهل اليمن بالعشق ، حتى روى أبو الفرج الأصبهانى عن ابن دأب قال (١) : « قلت لرجل من بنى عامر : أتعرف المجنون وتروى من شعره شيئا ؟ قال : أوقد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروى أشعار المجانين ! إنهم لكثير ! فقلت : ليس هؤلاء أعنى ، إنما أعنى مجنون بنى عامر الشاعر الذى قتله العشق . فقال : هيهات ! بنو عامر أغلظ أكبادا من ذاك ، إنما يكون هذا فى هذه اليمانية الضعاف قلوبها ، السخيفة عقولها ... فأما نزار فلا » .

فاذا ما بحثنا عن هؤلاء اليمنيين الذين قامت على أكتافهم هذه الشهرة — غير من عرفنا من بنى عذرة — لم نجد غير قليلين لا يفوقون رفاقهم من أهل الشمال .

وإذن فلماذا اشتهر أهل اليمن عامة برقة القلب ، وبنو عذرة خاصة بالوفاء فى الحب العفيف ؟ هل هى شهرة كاذبة ؟ ... إنها شهرة قامت على قصص كثيرة رويت عنهم ، فوصل إلينا بعضها ، وهو قليل ، وضاع كثير ، ربما لقدمه ، وربما لأن هؤلاء الشعراء الغزليين لم يكن يعنيهم الفن الشعرى ، والتجويد فى العبارة . وتثقيف الصناعة الأدبية ، قدر عنايتهم بالتعبير المباشر الحر عما يحسون به من انفعالات ، فلم تعش أشعارهم ، ولحقتها قصصهم .

---

(١) الأغانى ٢ : ٢

وإذا كان الأمر كذلك ، كنا بصدد حب عفيف ، وغزل عذرى ، صادرين قبل الإسلام .

ويؤكد هذه النتيجة ما رووه عن عروة بن حزام العذرى . وعبد الله بن علقمة . والصمة بن عبد الله القشيرى ، من عشق عذرى . وجميعهم من المخضرمين . وما رووه عن عبد الله بن عجلان النهدى ، وهو جاهلى .

فإذا صح لنا ذلك ، رأينا واجبا علينا أن نرفض أن الحب العذرى ثمرة القيم الأخلاقية التى بثها الإسلام فى العرب ، لأن هذا الحب لم يوجد بعد الإسلام ، كما ظن الباحثون ، بل وجد معاصرا له ، ووجد قبله أيضا .

وإذن فالحب العذرى ثمرة قيم أخرى .

هذه القيم بنت البادية التى عاش فيها العذريون فى الجاهلية والإسلام . وهى التى أشار إليها العقاد فى قوله (١) : « إلا أن البادية تتقيد ببعض القيود التى تستدعيها معيشة البدو ولا تستدعيها معيشة الحضريين ، لأن المنعة ضرورة من ضرورات الحياة بين أهل البادية . ولا مناص لهم من الاشتهار بمناعة الحوزة بين الأعداء والنظراء ، وإلا طمع فيهم كل طامع ، واستباحهم كل مستبيح وأول حوزة يحميها الرجل هى المرأة . فمن شرف البدوى أن تكون فتاته منيعة الحمى ، يتقاصر عنها لسان المتغزل كما يتقاصر عنها سيف المغير » .

فالمنعة هى التى أوجدت الحب العفيف ، والغزل العذرى : وهى التى قد تفسر ما ترويه القصص العربية عن امتناع القبائل من تزويج بناتها ممن يشبب بهن .

ويؤدى بنا هذا إلى أن الحب العذرى أو الغزل العفيف ليس فنا إسلاميا جديدا ، بل هو فن عرفه الجاهليون ، وليس فنا ازدهر فى الإسلام على حين كان ذاويا فى الجاهلية ، بل كان ريان مثمرا فى العصرين . ولكن أكثر القصص الإسلامية عرفت طريقها إلينا ، على حين أخطأنا الطريق إلى القصص الجاهلية .

فالأمر الذى لا شك فيه : أن العرب أولعوا فى ألوان فنونهم القولية

---

(١) جميل بثينة ١٩

مما تعلق بالمرأة ، وأجمل ما تعلق بها الحب العنيف . فأصدروا فيه الأشعار ، والقصص ، والأسمار ، وانتشرت هذه الفنون انتشارا واسع النطاق ، أدى بها فى آخر المطاف إلى أن تدخل فى تراث العرب الشعبى . الذى نظر إليه كثير من قدمائنا فى ازدراء .

ويضم هذا التراث الشعبى قصة عربية جاهلية ، تعبر عن الحب العذرى فى أروع مظاهره ، وأجمل مجاليه ، وتضم من العناصر ما يكشف عن أصالة عروبتها ، ونقاء جرثومتها . وقد روى هذه القصة وهب بن منبه ، الذى روى لنا أغلب التراث الشعبى الذى كان تتناقله أفواه القصاص والسمار فى بلاد اليمن والحجاز . وتكفى هذه القصة منفردة لتفسر شهرة أهل اليمن بالعشق ورقة الفؤاد .

وقد خضعت القصة لما يخضع له التراث الشعبى عادة من تغيير وتبديل فى أثناء تنقله بين الأفواه ، فأثر ذلك فى الأشعار التى تضمها ، فظهر عليها الضعف الفنى والركاكة مما يتسم به الشعر الشعبى ، عند مقارنته بالشعر الأدبى الفصيح . ولكننا إذا فهمناها على حقيقتها تبينت لنا روعتها وعظمتها اللتان لا تدانيهما قصص أخرى كثيرة فى الأدب العربى .

وهذه هى القصة كاملة ، دون كبير تدخل منى فى عبارتها ، ولا فيما أصاب شعرها من تحريف (١) :

قال الحارث بن مضاض الجرهمى :

لما شب مضاض ابن أخى عمرو الملك ، لم يكن بمكة ولا ما والاها أجمل منه . وكان من بنات عمه من بيت الملك جارية تسمى مى بنت مهليل بن عامر صاحب الشعب . وكانت معه فى نسق واحد ، وكانت أجمل من رأته العيون . ففتن بها وفتنت به . وشب معها وشبت معه فى حى واحد . وصان مئزره عنها ، وكان ذلك خيفة الطعن فى الملك . فلما بلغ بها الهوى مبلغه ، وحذرا من الفضيحة أو السقم والموت ، بعثا إلى ، فشكوا ما نزل بهما من شوق

(١) كتاب التيجان ١٨٨

بعضهما إلى بعض . فأرسلت إلى مهليل بن عامر بن عمرو ، وأعلمته ما كان منهما . فقال لى : أيها الملك . أنت وليهما ، افعل بهما برأيك ، وزوجها منه . وقد هجم علينا الشهر الأصم رجب . وكنا لا نحدث فيه حدثا غير العمرة والطواف حتى ينسلخ . قلت له : يا مهليل . ينصرف رجب وأفعل .

واعتمر مضاض وطاف . وبلغ ذلك ميا فأقبلت تعتمر وتطوف متنكرة غيرة على مضاض ، ومضاض لا يعلم بمكانها .

ورأى قبيس بن سراج الجرهمى ، من رهط حقير فى جرهم ، ميا فهويها ، وهى لا تعلم ، ومضاض لا يعلم بذلك . وكان قبيس يراعى أحوال مى . فلما بلغه أنها اعتمرت ، خرج إلى الطواف ليقضى لبانته من النظر إلى مى . فكانت مى تطوف وتراعى أحوال مضاض ، ومضاض لا يعلم بذلك : ويطوف قبيس فى أثر مى ، ومى لا تعلم بذلك .

وطافت رقية بنت البهلول الجرهمى ، وكان يوما قائظا ، فعطشت عطشا خافت منه على نفسها الموت . واحتشمت أن تقف لأهل السقاية وسدنة البيت من جرهم . فلما أبصرت مضاضا ، نادت به لشبيبته ، فقالت له : يا مضاض ، اسقنى جرعة من ماء ، فإنى خشيت أن أموت ظمأ . فناولها . فرأته مى حين ناول رقية الماء فاشتعل قلبها غيرة . فسقطت مغشيا عليها وجعلت ترعد ، ولا تدرى ما هى فيه . ثم أدركت نفسها فقامت فلم تستطع الطواف ، وولت إلى منزلها . فأتت أباها ، فقال لها : ما الحجيج ، يا بنية ، أفترق ! فقالت له : لم يفترق الحجيج يا أبة ، ولكن الموت لا يكتم ، وإليك شكواى واستغاثتى لأنك عمادى ورجائى . قال : فما لك يا بنية ؟ قالت له : انصدع قلبى صدعا لن يلتئم بعده . ثم أردفت : إن مضاضا ابن عمى دعا قلبى فأجابه ، فلما أجابه قذف الهوى خلف النوى : رأيته يلاحظ رقية بنت البهلول وسقاها ماء ، ففارق روحى جسمى أسرع من طرفة عين ثم تداركت أمرى ، ورأيت أنه بدل حسبا بحسب وخطرا بخطر ، ولم يبلغ والله خطر البهلول مهليل بن عامر ، ولا رقية بنت البهلول مى بنت مهليل بن عامر . فقال لها أبوها : صدقت ! لا ورب الكعبة ما يكون ذلك . فقالت له : يا أبة ، لن والله أقيم بموضع يكون

فيه مضاض بن عمرو أبدا ؛ وإنى راحلة إلى أخوالى جسر بن قين . وكانوا نزلوا بأمج ذات الضال . فقال لها : لك ذلك يا بنية . وأنشأت تقول (١) :

مضاض غدرت الحب والحب صادق ... وللحب سلطان يعــز اقتــداره
غدرت ولم أغدر وللعهــد موثق ... وليس فتى من لا يقر قــراره
إذا جاءنى ليل تمادلــت بالذى ... دعا كبدى حــتى تمكن ضاره
أبيت أقاسى النجم والليل دامس ... وللنجم قطب لا يدور مــداره
إذا غاب لم أشهــد وكان محله ... محلى ، ودارى حيثما كان داره
إذا هاج ما عندى لأول غــيرة ... علاه اشتعال ما يطاق اســتعاره

وأتاها قبيس وأنشأ يبث لها أخبارا ليفرق بينها وبين مضاض لما رأى من غيرتها حين سقطت بالطواف . فعمل شعرا على لسان مضاض ، وشعرا على لسان رقية . وقال لها : يا مى ، رأيت عجبا ! قالت : ما هو ؟ قال لها : رأيت مضاضا واضعا كفيه على قرون رقية ابنة البهلول فى الطواف ، وهو يدفع عنها أهل الطواف سانحا وبارحا ، ثم استسقته ماء فناولها سقاء بيده ، فشربت وناولته ، فأنشأ مضاض يقول . فبادرته فقالت : ما الذى قال يا قبيس ؟ قال لها : قال :

رقيــة قلبى قــد تباين صدعه ... وللحب مــنى شــاهد ودليــل
رأيت الهوى يهوى وللوصل واصل ... فهل لك أن يأتى الخــليل خليل

وقال : فأجابته رقية فقالت :

أصون الهوى والطرف منى كاتم ... ولا يعلمون الناس إذ ذاك ما دائى
سوى أننى قد فزت منك بنظرة ... تجرعت عذب الحب منه مع الماء

فاشتملتها حمية قول قبيس . وجعلت تقبل بين خيام الحى مرة وتدبر أخرى وهى لا تعلم ما هى فيه . ثم قالت لأبيها : نذرت لله نذرا يا أبة : لنرحلن غدا

---

(١) فى هذه الأبيات وغيرها ، مما ترويه القصة ، كثير من التحريف ، أشار إلى بعضه المحقق ، ولم يشر إلى بعضه الآخر .

إلى أمج ذات القسال . وأنزل مع جسر بن قين . فقال لها أبوها : نعم . وحملته الحمية والأنفة على ذلك .

وبلغ رجل من أهل الحى مضاضا بما قال قبيس ، وبما قالت مى . فركب فرسه وأخذ سيفه . وخرج يريد قتل قبيس . وأنذر قبيس بمكان مضاض ، فخرج هاربا فى البيداء ، فما أدرى أى الأرض انطوت عليه إلى يومنا هذا . فلما لم يجد مضاض من قبيس أثرا وأعجزه هربا ، رجع إلى مى . وأصاب أهل الحى يحتملون . وأصاب ميا راكبة على نجيب فى هودجها . فقصدها وقال : يا مى ، أعيذك بالله أن تغدرى من لم يغدرك ، وهذا موقفى بين يديك ، فجودى لمن لم يجترم جرما . وقال :

يعشى عن الناس لحظ طرفى   وعنك يا مى غير عـاشى

أتهجـرينى بغـير ذنب   وتقتـلينى بقـول واشى

فولت عنه وعيناه تغرورقان دموعا ، وتبعها وهى تقول :

كذبت هوى . حنثت إذن يمينى   إذا طالبت أثرا بعـد عين

سأرحل والفـؤاد له وجيب   وأقطع للنـوى بينـا ببين

إذا شط المزار عن ابن عمرو   نزلت بغربة : جسر بن قـين

كأنى حين أطلبـه وصـالا   ويصرمه ، أطالبـه بـدين

تعست إذن وخان أبى وأمى   وبعت بعـارها زينى بشين

وتجهمته وزحفت غضبى ، وتمادى الحى للرحلة ومضوا .

ولما ظعن الحى ، رجع مضاض فركب ناقة وبدل زيه ، وخرج فى طلب الحى ، وكان له خليلان من بنى عمه عمرو وعامر . فركبا فى أثره حتى لحقاه . فقالا له : يا مضاض ، خلعت تاج الملك بطلاب الهوى ! قال لهما : غلب الهلع التجلد ، والجزع الصبر ، والهوى حاكم ، والقلب محكوم عليه !

ثم بلغت مى أمجا فنزلت . فجعل مضاض عليها عيونا يأتونه بأخبارها ،

ويطوف حول أمج من حى إلى حى ، ولا يعلم من هو ، ومعه خليلاه عمرو وعامر . فقال :

أعلل قلبى بالمنى ولعلها ... تقول أبارت لابن عم مقادره
وترثى لمفتون الهوى ولعلها ... تصدق حبا صدقته سرائره
يظل يراعى الحادثات نهاره ... فإن غبن عنه فالقمير مسامره
يحارس طرفى الشبه من أم غالب ... أناظر من أشباهها ما تناظره
لعل فؤادا كنت قبل فؤاده ... يرق لمن أرجاه بالموت ناصره
فإن كان صدق الناس صدق منيتى ... فإن رجائى صدقته خواطره
لئن بان من مى مدى الوصل فانقضى ... لقد حل من محذوره ما أحاذره

وأتاه آت فقال له : إن أهل أمج يريدون الرحيل إلى خريف نجد ، وإن مهليل بن عامر يريد الرحيل إلى مكة . فاستبشر بذلك فقال :

خليلى من أمج فارتعا ... على الضال من مى حتى تريما
لهوت ولم أدر حتى بدت ... لى الشمس تختل ليلا بهيما
غزال يسف برير الأراك ... غرير يطرف طرفا سقيما
مهاة البشام كبدر التمام ... بدا فى الظلام يجلى الغيوما
فظل فؤادى غريق الهوى ... وظلت جفونى تراعى النجوما
أعمرو وعامر إن تظعنا ... فإنى على الضال أمسى مقيما

ورحل مهليل يريد بيت مكة . فسار مضاض مع خليليه حتى لقيهم بالحار . فغلب فرط الصبابة عليه . فتعرض لمى فى طريقها . فقال لها : يا مى ، اتقى الله أن تغادرينى . فتجهمته وولت غضبى ، وهى تقول :

فلما تساوى الحب والأمر مقبل ... عدلت ولم تظهر إلىّ جميلا
رأيت مكانى حين وليت معرضا ... إلى حسب البهلول كان قليلا

فرجع إلى عمرو وعامر . فقالا له : ما قالت ؟ قال لها :

تصد بلا جرم على بوجهها　　وتبعدنى لما أردت التقربا
كأنى أنادى حية حين أقبلت　　سفاها فما تزداد إلا تغضبا

فمضى حتى أتى مكة . فغلب عليه الهوى ورجا منها عطفا . فتعرض لها بالموضع الذى يقال له الدار ، فولت عنه وتجهمته ، وقالت له : والله لا ألقاك بها أبدا .

فولى إلى صاحبيه وقال : والله لا أشرب بعدها ماء أبدا ! وأنف أن يدخل مكة وولى . ومضى معه صاحباه يستعطفانه على شرب الماء فأبى لها . فجال حتى غلب عليه العطش ، وانصدع قلبه فى صدره ، لما خامره اليأس ، حتى بلغ هذا الموضع ، فغشيه الموت . فأناخ ناقته ، وأخذ رأسه عمرو ، وجعله فى حجره ، وقال له : قصفك الدهر يا مضاض ! ففتح عينيه وقال له : قصفنى قبيس . وأردف :

علام قبست النار يا أم غالب　　بنار قبيس حين هاجتك ناره
على كبد حرى وأنت عليمة　　بغيب رفيق لا يبين ضماره
سألتك بالرحمن لا تجمعى هوى　　عليه وهجرانا وحبك جاره
فإن لم يكن وصل فلفظ مكانه　　إليه وإلا موطن الموت داره
خليلى هذا موطن الموت فاندبا　　مضاض بن عمرو حين شط مزاره
فياليت شعرى عنك يامى ماالذى　　أردت بمأسور طويل إساره
فياليت شعرى عن قبيس بن شارح　　على كل غبرا أين قر قراره
خليلى عوجا بى إذا مت وابكيا　　على دنف بطن الضريح وجاره
صريع هوى نائى المحلة نازح　　سجا بعد إشراق الصباح نهاره
على أنه قرن إذا هب طارق　　فليث عرين لا يشق غباره
عفيف عن الفحشاء فى كل حالة　　إذا ما أبيح اللهو يوما إزاره
فيا شجر الزيتون ويلاك فاندبا　　عل هالك ثوب الضريح شعاره

ثم مات . فلما نعى إلى قيل لى : أوصاك أن تدفنه بموطن الموت بين الدوحتين ، بالموضع الذى مات فيه .

وكان مهليل ينزل المطابخ ، وكان منزله الأزهر ، وكان بجوار البهلول ؛ فلقيت رقية ابنة البهلول مية ابنة مهليل ، فقالت لها : يا مى ، ما كان من شأنك ومضاض ؟ فأعلمتها . فقالت لها : ظلمته يا مى ، بالله ما كان بينى وبينه قط سبب ولا كلمة غير استسقائى منه الماء ؛ وذلك أنى كدت أموت عطشا ، واحتشمت أن أقف إلى السدنة ، ولم أر من أعرفه من أهل الطواف ، ولما رأيت مضاضا حملتنى إليه دالة القرابة وحداثة سنه فكلمته فسقانى . ثم ما رأيته بعدها إلى يومى هذا . فقالت لها مى : فهل كان منك إليه شعر ، ومنه إليك شعر ؟ قالت لها : لا والله ما كان بينى وبينه كلمة غير استسقائى إياه .

وأتاها من علم أمر قبيس وما وشى بينهما ، فندمت على ما كان منها إلى مضاض . وبعثت إليه فلم تجده . وتعاظم شوقها لما علمت من كلفه بها وبراءته مما اتهمته به . فبينما هى تسأل عنه ، وتلتمس من لقيه ، إذ نعى إليها . فتوارت عن الحى إلى تلعة . وتبعتها جارية من الحى يقال لها سلمى من بنات عمها ، كانت مؤانسة لها ، مطلعة على أسرارها . فوجدتها ساكتة تنظر يمينا وشمالا كأنها جنت ، فقالت : يا مى ، أراك هبلاء ، وقد مات مضاض . فقالت لها : قسوة أدركتنى منعتنى الدمع . وفى الدمع راحة لو أصبت إليه سبيلا . فلما سمعت نساء الحى ينتحبن وعلت أصواتهن ، أجابها الدمع . فبكت وأنشأت تقول :

أيا موطن الموت الذى فيه قبره ... سقتك الغوادى الساريات الهوامع
ويا ساكنا بالدوحتين مغيبـــا ... لئن طرت عن إلف فإلفك تابع

ثم قالت :

أيا شجر الزيتون ضميت مهجة ... أتت هضبة من دونها ورياض
ويا دوحة الزيتون بالله فرجى ... عن الكبد الحراء كيف مضاض
لئن جاد لى وجدا بنفس كريمة ... أثبه بنفسى والثواب قراض
أأرغب فى الدنيا حياة سقيمـة ... ويأتى ســـواد دونه وبيـاض

وآلت على نفسها ألا تشرب ماء حتى يرد جمل أبيها هوز ، وكان لا يرد إلا عن خمس . فأقامت يومين وليلتين . فلما كان اليوم الثالث ، ولا أحد يعلم

بها غير سلمى ، غشيها الموت مع الليل ، فولت إلى الربوة ، واتبعتها سلمى . فلما بلغت أعلى الربوة سقطت فوضعت سلمى يدها على فمها فوجدته كالحجر الصلد . فرفعت رأسها إليها بلسان غليظ وصوت خفى ، وقالت بكلام ضعيف لا يكاد يبين : قولى لأبى يدفننى بالدوحتين بجوار مضاض . ثم قالت :

يقولون مى أسرعت بفراقهـــا ‏ ‏ ‏ فمات مضاض والهوى غير نادم
فياليت أنى مت من قبل موته ‏ ‏ ‏ بطيب الهوى قبل الردى المتفاقم
لقد مت يوم الماء موتا أمر من ‏ ‏ ‏ سمام الأفاعى فى نقيع العلاقم
فهل هو إلا الروح بالروح أسوة ‏ ‏ ‏ وها هى نفسى ارتقت فى الحيازم

وقالت سلمى تبكى ميا :

لم تكن لوعة الهوى لانفراج ‏ ‏ ‏ من يقاسى الهوى فليس بناجى
إن يكن مات من هواها مضاض ‏ ‏ ‏ قد قضت دينه بأيسر حـــاج
غرس الحب فى حشاها فوجا ‏ ‏ ‏ قلبهـــا بعـــده بمديـــة واج
إن فى الموت راحـــة لمحب ‏ ‏ ‏ بات فى الوصل ساعة غير راج

ثم لم تلبث مى إلا يسيرا حتى ماتت . وبلغت سلمى أباها فأعلمته فدفنها فى الدوحتين .

ولقد ضرب بموت مضاض المثل فى زمانه . قال رجل من أهل الطائف يقال له بهنان ، كان من أهل هزان بن سكسك :

أموت إذا جد الفراق بيثرب ‏ ‏ ‏ كما مات من حر الفراق مضاض
فتى لم يخن لكن ردىالدهر خانه ‏ ‏ ‏ تولى وللأيام فيـــه عضـاض
فباد ويحيى ذكره بعد موتـــه ‏ ‏ ‏ حديث على طول الزمان مفاض
وخاض ببحر لم يكن منه مصدر ‏ ‏ ‏ بعيد على الوراد ليس يخـــاض
دعاه وقد قضى من الموت نحبه ‏ ‏ ‏ بنات الثرى من دونهن رياض

• • •

لعلنا الآن قد مهدنا الطريق لنعرف قدر حب العرب لقصص الحب العذرى ، فى جاهليتهم وإسلامهم .

ولا شك أن هذا الانتشار الواسع النطاق لهذا اللون من القصص له دلالته الكبيرة على تصورات العرب ، أو له أثره الكبير فى تصوراتهم . فاما أن تدل هذه القصص على وجود هذا الصنف من العشاق العذريين فعلا بين العرب . فان لم يكن الأمر كذلك ، فلا شك أنها أثرت — شأن ما يحب من قصص — فى عقول الناشئة من العرب وتصوراتهم ، وجعلتهم يعجبون بأشخاصها ، ودفعتهم إلى أن يرفعوهم إلى مصاف الأبطال ، وأهابت ببعضهم إلى أن يحتذيهم . فهذه القصص إما دالة على وجود المحبين العذريين وإما موجدة لهم .

* * *

وقد خضع العذريون من المحبين لكثير من العنت ، وتعرضوا لألوان متنوعة من التحرى والإنكار والإقرار ، منذ دعا الأستاذ الدكتور طه حسين دعوته فى الانتحال فى الشعر العربى . وإذا كانت الدعوة قد عالجت الشعراء الجاهليين جميعا ، فانها لم تمس من الإسلاميين غير العذريين . ولقيت الدعوة ما تلقاه كل دعوة ، فغلا بعض معتنقيها غلوا كبيرا فى تطبيقها ، فسحبها على جميع العذريين . ولكن من فعل ذلك لم يقدم بين يديه من الأدلة والقرائن والنتائج ما قدم صاحب الدعوة ، فجعل إنكاره يقف فى الهواء غير مرتكز على شىء .

ومهما يكن من شىء ، فقد كان شاعرنا حسن الحظ ، فكان الأستاذ الدكتور طه حسين أميل إلى الإعجاب بقصته ، وأقرب إلى التصديق بواقعيتها ، منه فى قصص غيره من الغزليين . يبين ذلك فى جميع أرجاء الفصل الذى كتبه عنه (١) ، ولكننا نكتفى بأن نقتبس منه عبارات متناثرة . قال : « أما هذه فقصة جيدة حقا ، لا ينبغى أن تقرن إلى هذا السخف الذى تحدث الرواة به عن المجنون ، ولا إلى هذا الفتور الذى ذكروا به حب جميل . وما أظن إلا أن واضع هذه القصة قد امتاز من الذين وضعوا أنواع القصص الغرامية بشىء من الإجادة والبراعة لم يسبق إليه ولم يلحق فيه ... ولكن فيها شيئا تمتاز به وتستمد

---

(١) حديث الأربعاء : ٢ : ٣٤ — ٤٧

منه قيمتها ونفعها وانفرادها بالجودة والإتقان ، وهو أنها قصة إنسانية ، أريد أن الخيال لم يخترعها اختراعا وإنما ألفها تأليفا . والفرق بين الاختراع المطلق والتأليف واضح . فقد يستطيع الكاتب أن يخترع أشياء يضيف بعضها إلى بعض دون أن يكون لهذه الأشياء أصل فى الحياة الواقعة ، وهو إذن سخيف حقا . وقد يستطيع أن يؤلف بين أشياء مختلفة يأخذها من الحياة الواقعة ، ولكنه لا يوفق إلى موضع الصلة بين هذه الأشياء فتخطئه الإجادة ، ويتورط فى الخطأ أو سوء الذوق أو رداءة التأليف . وأنت تجد هذين النوعين فى قصة المجنون وقصة جميل . أما هذه القصة التى نحن بإزائها فقد وفق صاحبها إلى حسن التأليف وحسن الذوق ، ووصف فيها أشياء تجدها فى الحياة اليومية الواقعة وأتقن وصفها ، حتى إن قصته لتجد فى نفسك صدى قويا . وتحملك على أن تقول : إن هذا لحق ، وإن هذا لجيد . ذلك أنه لم يلتمس أخباره وحوادثه فى السماء ولا فى الهواء ، وإنما التمسها بين الناس فى حياتهم اليومية وفى صلاتهم المألوفة وفى عواطفهم التى تمثل ما يجدون من حس وشعور » .

وهذا القول جلى كاف .

فمجمل الأحداث التى رواها الرواة عن قيس بن ذريح ، وتؤلف وقائع حياته ، ليست مخترعة ولا بعيدة الحدوث للرجل العادى . قد ننكر منها أشياء ، ولكنا لا نزال نصدق الكثير . فماذا قال الرواة عن قيس ولبنى ؟

ذكر الكلبى والقحذمى أنه قيس بن ذريح (١) بن سنة بن حذافة بن طريف. وذكر أبو شراعة القيسى والبكرى أنه قيس بن ذريح بن الحباب بن سنة ، وسائر النسب متفق عليه . واحتج بقول قيس :

فان يك تهيامى بلبنى غواية ‏ ‏ ‏ ‏ فقد يا ذريح بن الحباب غويت

وكناه الذهبى أبا يزيد .

---

(١) ضبطه ابن ماكولا ص ٢٨٤ بفتح الذال وكسر الراء . وتبعه ابن عساكر

وهو من بني ليث بن بكر بن عبد مناة ، من كنانة بن خزيمة ، من عرب الشمال . ولذلك لقبه الذهبي بالليثي ، وغيره بالكناني .

وقد حرف نسبه في تزيين الأسواق ، فقال الأنطاكي : «وهو من خزانة ، واسم أبيه على أو هو جده» . وأظن أن خزانة محرفة عن خزيمة ، وأنه يريد بكرا بعبارة : «اسم أبيه على ...» لأن النسابة قالوا إن عبد مناة كان يسمى عليا أيضا .

وذكر القحذمي : أن أمه بنت سنة بن الذاهل(١) بن عامر الخزاعي ، من خزاعة .

ووصفه الذهبي بأنه «من أعراب الحجاز» . وذكر القحذمي : أن قوم قيس كانوا ينزلون في ظاهر المدينة ؛ أما هو وأبوه فكانا من حاضرتها . وقال الأنطاكي : «كان ينزل بظاهر المدينة» . وترجح أخبار قيس وأشعاره كونه مع قومه في ظاهر المدينة . أما المدينة فكان يدخلها بين الحين والآخر .

وذكر خالد بن كلثوم : أن منزله كان بسرف ، على ستة أميال من مكة . واحتج بقول قيس :

الحمد لله قد أمست مجـــاورة　　　أهل العقيق وأمسينا على سرف

وكذا قال الذهبي: إذ ذكر أنه : «كان يكون بقديد بسرف وبوادي مكة» . ويبدو أنه كان كثير التنقل بين بوادي المدينة حيث يقيم أهله وبوادي مكة حيث يقيم أهل أمه من خزاعة .

ويصرح كل من كتب عنه أنه كان رضيع الحسين بن علي رضي الله عنه ، سوى ابن شاكر الكتبي الذي جعله رضيعا للحسن . وأظن الكلمة محرفة عن الحسين ، للعلاقة التي يقال إنها ربطت بينهما . فأم قيس أرضعت الحسين وقيسا ، وإذن فهما تربان . وقد ذهب المؤرخون إلى أن الحسين ولد سنة ٤ أو ٦ هـ . ويقتضي ذلك أن قيسا ولد في إحدى السنتين .

---

(١) في تجريد الأغاني : ١ : ١٠٦٢ : الكاهل .

وشب قيس فى البادية فصار فى نعت الواصف له : « رجلا ظريفا شاعرا » .

أما لبنى بنت الحباب أم معمر ، فمن بنى كعب من خزاعة . وكانوا ينزلون بأنحاء مكة فى مر الظهران وما يليه . وكانت لهم ولاية الكعبة قبل قريش . وكان بينهم وبين كنانة حلف على التناصر والتآزر ونعت بعضهم لبنى ، فجعلها مديدة القامة ، يخالط سواد عينيها زرقة ، حلوة المنظر والكلام ، أو كما قال الأنطاكى : « بهية الطلعة ، عذبة الكلام ، سهلة المنطق » .

وفى إحدى زوراته لأخواله ، اشتد الحر ، فشعر بالظمأ . فوقف على خيمة ، والرجال غائبون ، فطلب ماء . فبرزت له لبنى فسقته . وأعجب بها . وطلبت إليه أن يستريح عندهم حتى تخف وطأة القيظ . فلباها وتحادثا فملكت عليه فؤاده وملك عليها فؤادها . وقدم أبوها فرحب به ، ونحر له ، واحتفى ، وأكرمه .

وانصرف قيس ، وقد غلبه الهوى . فأنطقه شعرا رواه الرواة ، وشاع فى المجالس .

ثم أتاها فى يوم آخر ، فبرزت له . وتباثا الحب : فعرف كل منهما أن الآخر يجد مثل ما يجد . فانصرف إلى أبيه ، وسأله أن يزوجه من لبنى . فأبى عليه ذلك ، وقد خاف على ثروته الطائلة ، وقال له : بنات عمك أحق بك . فترك قيس أباه إلى أمه ، وكانت تعزه وتدلله ، وكان يحبها ويبرها ، فوجد عندها ما وجد عند أبيه . فانصرف عنهما يائسا قانطا .

وتصرح الروايات : أن قيسا لجأ فى آخر الأمر إلى أخيه من الرضاعة الحسين للاستفادة من مكانته فى نفوس أهله وأهل لبنى ، فوعده خيرا . وذهب معه إلى أبى لبنى . فلما بصر به أعظمه ، ورحب به ، وقال : يا ابن رسول الله ، ما جاء بك ؟ ألا بعثت إلى فأتيتك . قال : إن الذى جئت فيه يوجب قصدك ، وقد جئتك خاطبا ابنتك لبنى لقيس بن ذريح . فقال : يا ابن رسول الله ، ما كنا لنعصى لك أمرا ، وما بنا عن الفتى رغبة ، ولكن أحب الأمر إلينا أن يخطبها ذريح أبوه علينا وأن يكون ذلك عن أمره ، فإنا نخاف إن لم يسع أبوه فى هذا أن يكون عارا وسبة علينا .

فأتى الحسين ذريحا وقومه وهم مجتمعون ، فقاموا إليه إعظاما ، وقالوا له

مثل قول الخزاعيين . فقال لذريح : أقسمت عليك إلا خطبت لبنى لابنك قيس . فقال : السمع والطاعة لأمرك .

وقد هاجم الأستاذ الدكتور طه حسين هذه المسألة ، وعدها نقطة الضعف التى تكشف عن عدم حقيقة القصة ، قال : « تمتاز هذه القصة أيضا بأن أشخاصا ممتازين قد لعبوا فيها دورا كما يقولون ، فاكتسبت من هؤلاء الأشخاص شيئا من الجلال غير قليل . ثم اكتسبت من هؤلاء الأشخاص أيضا شيئا يحملك على أن تنزلها منزلتها الحقيقية ، وتعتقد أنها قصة خيالية مخترعة أكثر من أن تكون قصة حقيقية واقعية . فليس من اليسير أن نتصور تدخل الحسين والحسن ابنى على رضى الله عنهم فى عشق فتى من فتيان البادية لفتاة من فتيات البادية » .

وقد يوافق الباحث هذا الرأى ، وقد يعارضه ، ولكنه فى الحالتين كلتيهما لا بد أن يسلم بأن ما نسب إلى الحسين هنا اتخذه بعض القصاص محورا أداروا حوله القصص الظاهرة الاختراع والزيف . فقد قال الأنطاكى : « ونقل السيوطى فى شرح الشواهد عن ابن عساكر : أن الحسين بن على لما بلغه انقباض أبى قيس عن ذلك جاء إليه حافيا على حر الرمل . فقام ومرغ وجهه على أقدامه .. ونقل الجلال السيوطى : أن الحسين أدى المهر من عنده (١) » .

ومهما يكن الأمر ، فقد وافق أبو قيس على زواجه من لبنى . وذهب هو ووجوه قومه إلى أبيها ، فخطبوها منه ، فرحب بهم ، وقبل طلبهم . واجتمع الحبيبان . وأقاما مدة فى ظل سعادة وارفة ، وهناء متجدد .

وعاش قيس حياته الجديدة ، وفنى فيها ، فأنسته كل ما اتصل بحياته القديمة . وكان وحيد والديه الثريين ، بارا بهما وبأمه خاصة . فأغضبها أن تغتصبه منها امرأة أخرى ، وتستولى على لبه ، حتى ينسى واجباته نحوها . فأخذت تتحين الفرص للكيد لها ، والإبعاد بينها وبين ابنها . وأمدها القدر بسلاح قاتل ، إذ لم تنجب الحياة الزوجية بين المحبين . واستمر قيس يدافع أبويه عما يريدان ويأبى أن يسوء لبنى مدة طويلة ، قيل : إنها بلغت عشر سنين .

---

(١) لم أجد هذه الأقوال عند السيوطى أو ابن عساكر .

ومرض قيس مرضا شديدا ، ألزمه الفراش مدة طويلة . فكان الفرصة السانحة للأم . فقد أخذت تدس للزوجة عند الأب ، وتثير الخوف من نفسه ، وتأتيه من حيث يفزع . فقالت له : لقد خشيت أن يموت قيس وما يترك خلفا وقد حرم الولد من هذه المرأة ، وأنت ذو مال فيصير مالك إلى غير ولدك فزوجه بغيرها ، لعل الله أن يرزقه ولدا . وألحت عليه فى ذلك ، حتى اقتنع بما تقول .

ولما شفى قيس من علته ، اجتمع به أبوه وقومه ، فقال له : يا قيس ، إنك اعتللت هذه العلة فخفت عليك ولا ولد لك ولا لى سواك ، وهذه المرأة ليست بولود ، فتزوج إحدى بنات عمك ، لعل الله أن يهب لك ولدا تقر به عينك وأعيننا . فقال قيس : لست متزوجا غيرها أبدا . فقال له أبوه : فإن فى مالى سعة فاتخذ الجوارى . قال : ولا أسوءها بشىء أبدا والله . قال أبوه : فإنى أقسم عليك إلا طلقتها . فأبى وقال : الموت والله على أسهل من ذلك ، ولكنى أخيرك خصلة من ثلاث خصال . قال : وما هى ؟ قال : تتزوج أنت فلعل الله أن يرزقك ولدا غيرى . قال : فما فى فضلة لذلك . قال : فدعنى أرتحل عنك بأهلى واصنع ما كنت صانعا لو مت فى علتى هذه . قال : ولا هذه . قال : فأدع لبنى عندك وأرتحل عنك فلعلى أسلوها . قال : لا أرضى أو تطلقها . وحلف لا يستظل بسقف بيت أبدا حتى يطلق لبنى . فكان يخرج ويقف فى حر الشمس وحيدا أو مع أم قيس ، على اختلاف الروايات . فيجىء قيس ويقف إلى جوارها ويظلهما بردائه ويصلى هو بحر الشمس ، حتى يأتى المساء . فيتركهما ويأتى إلى لبنى . فيبكيان ويتعانقان ، وتشجعه قائلة : يا قيس ، لا تطع أباك فتهلك وتهلكنى . فيقول : ما كنت لأطيع أحدا فيك أبدا .

ولم يقلع قيس ولا أبوه عما أراد . فجاء قوم قيس إليه من كل ناحية ، فعظموا عليه الأمر ، وذكروه بالله ، وقالوا : أتفعل هذا بأبيك وأمك ؟ ! إن مات شيخك على هذه الحال كنت معينا عليه وشريكا فى قتله .

واصطرع فى نفس قيس بر الوالدين وحب الزوجة ، وتقلبت به الآراء .

واستمر يقاوم الظروف التي تريد تدميره سنة في قول ، وأربعين يوما في قول آخر . ثم انهار في لحظة ضعف ، فرضخ لطلب أبويه ، وإلحاح قومه ، وطلق حبه . وأنشأ يقول :

أقول للحسلي في غير جسرم ألا بيني — بنفسي أنت ! — بيني

فلما بلغ الخبر لبنى بكت بكاء شديدا ، وقالت :

رحلت إليه من بلدى وأهلي فجازاني جزاء الخائنينا
فمن رانى فلا يغتر بعدى بحلو القول أو يبلو الدفينا

وأرسلت إلى أبيها ليأتي ويحملها بعد انقضاء العدة .

وما لبث قيس أن أحس بالفراغ الذى خلفته لبنى ، واللوعة التي ملأت جوانحه ، فأخذ يبث الأشعار الباكية .

ولما أقبل أبو لبنى ليحملها ، رآه قيس ، فأقبل على جاريتها يسألها . فقالت : لا تسألني وسل لبنى . فذهب ليلم بخبائها ، فمنعه قومها . وأقبلت عليه امرأة من قومه ، فقالت له : مالك ويحك تسأل كأنك جاهل أو تتجاهل ! هذه لبنى ترتحل الليلة أو غدا . فسقط مغشيا عليه ثم أفاق فقال :

وإنى لمفن دمع عيني بالبكا حذار الذى قد كان أو هو كائن

وفي الغد حملت المطايا ، وركبت لبنى وقومها ، وشرعوا في السفر ، وقيس يرى ذلك كله ، وقد داخله منه أمر عظيم واشتدت لهفته . فأنشأ يقول :

بانت لبينى فأنت اليوم متبول وإنك اليوم بعد الحزم مخبول

ثم اتبعها مليا إلى أن علم أن أباها سيمنعه من المسير معها . فوقف ينظر إلى الراحلين ويبكي حتى غابوا عن عينه فكر راجعا . ونظر إلى أثر خف بعيرها فأكب عليه يقبله ، ورجع يقبل موضع مجلسها وأثر قدمها . فأقبل قومه يعذلونه ويعنفونه . فقال :

وما أحببت أرضكم ولكن أقبل إثر من وطئ الترابا

وجعل قيس يعاتب نفسه في طاعته أباه في طلاقه لبنى ويقول : فألا رحلت بها عن بلده فلم أر ما يفعل ولم يرنى ! فكان إذا فقدنى أقلع عما يفعله ، وإذا

فقدته لم أتحرج من فعله ! وما كان على لو اعتزلته وأقمت فى حيها أو فى بعض بوادى العرب ، أو عصيته فلم أطعه ! هذه جنايتى على نفسى فلا لوم على أحد ! وها أنا ذا ميت مما فعلته ، فمن يرد روحى إلى ! وهل لى سبيل إلى لبنى بعد الطلاق ؟ ! وكلما قرع نفسه وأنبها بلون من التقريع والتأنيب بكى أحر بكاء ، ثم قال :

ويلى وعولى ومالى حين تفلتنى   من بعد ما أحرزت كفى بها الظفرا

ولجأ قيس إلى الاحتيال لمقابلة لبنى : فكان يخرج وحيدا أو مع رفاق له ، فيوغلون حتى يدركوا منازل قومها ، ويبعث إليها ، ويتعرض لها . ووصف أبو الفرج إحدى هذه الزورات فقال : « خرج قيس فى فتية من قومه واعتل على أبيه بالصيد . فأتى بلاد لبنى . فجعل يتوقع أن يراها أو يرى من يرسل إليها . فاشتغل الفتيان بالصيد . فلما قضوا وطرهم منه ، رجعوا إليه وهو واقف فقالوا له : قد عرفنا ما أردت بإخراجنا معك وأنك لم ترد الصيد وإنما أردت لقاء لبنى ، وقد تعذر عليك فانصرف الآن . فقال :

وما حائمات حمن يوما وليلة   على الماء يخشين العصى حوان

فأقاموا معه حتى لقيها . فقالت له : يا هذا ، إنك متعرض لهلاك نفسك وفاضحى . فقال لها :

صدعت القلب ثم ذررت فيه   هواك فليم فالتأم الفطور

ولجأ أبو لبنى إلى الخليفة معاوية بن أبى سفيان . فشكا إليه قيسا وتعرضه لابنته بعد طلاقه إياها . فنصحه معاوية أن يزوج ابنته من خالد بن حلزة الغطفانى . وهو من آل كثير بن الصلت الكندى أحلاف قريش ، فكتب إلى مروان بن الحكم أو سعيد بن العاص، والى المدينة حينئذ ، بهدر دمه إن ألم بها وأن يشتد فى ذلك . فكتب فى ذلك إلى والى الماء الذى ينزله أبو لبنى كتابا وكيدا . ورفضت لبنى الزواج ووجهت رسولا إلى قيس تعلمه ما جرى وتحذره . فقال :

فان يحجبوها أو يحل دون وصلها   مقالة واش أو وعيد أمير

وقد ثار كثير من الجدل نحو هدر دم العاشق الذى يلم بأرض المعشوق .

فتلك ظاهرة عامة نراها فى أغلب القصص الغرامية . وكان هذا العموم سببا فى إنكار المنكرين لها ، إلى جانب أن هدر الدم لا يكون إلا عن سبب قوى شرعى ، وليس الأمر كذلك هنا .

ومهما يكن الأمر . فقد اضطر قيس إلى الامتناع عن زيارة لبنى . فأصابه الذهول ، واعتراه الهزال والضمور ، وألم به المرض ، حتى رثى له أبواه وقومه ، وبحثوا عن الطرق إلى تسليته . فبعثت إليه أمه بفتيات من قومه يعبن إليه لبنى ، ويعبنه بجزعه وبكائه ، ويتعرضن لوصاله . فلما أطلن أقبل عليهن وقال :

يقـــــر بعينى قربها ويزيدنى ... بها كلفا من كان عندى يعيبها

فانصرفن عنه إلى أمه فأيأسنها من سلوته . وتلك القصة من القصص الشائعة فى أخبار العشاق العذريين ، روى أمثال لها عن جميل ومجنون ليلى وغيرهما .

ثم بعث إليه أبوه بطبيب ليداويه ، وجماعة من فتيات الحى يعدنه ويحدثنه . فلما اجتمعن عنده وجعلن يحادثنه ، قال :

عيد قيس من حب لبنى ، ولبنى ... داء قيس ، والحب داء شديد

فقال له الطبيب : منذ كم هذه العلة ؟ ومنذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت ؟ فقال :

تعلق روحى روحها قبل خلقنا ... ومن بعد ما كنا نطافا وفى المهد

فقال له الطبيب : إن مما يسليك عنها أن تتذكر ما فيها من المساوئ والمعايب وما تعافه النفس من أقذار بنى آدم ، فإن النفس تنبو حينئذ وتسلو ويخف ما بها . فقال :

إذا عبتها شبهتها البدر طالعـــا ... وحسبك من عيب لها شبه البدر

ودخل أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة ، فأنبه ولامه وقال له : يا بنى ! الله الله فى نفسك ! فإنك ميت إن دمت على هذا ! فقال :

وفى عروة العذرى إن مت أسوة ... وعمرو بن عجلان الذى قتلت هند

وهذه القصة مثل سابقتها فى الشيوع بين العذريين .

وروى ابن النطاح فى كتاب له قال : حج قيس بن ذريح ، واتفق أن حجت لبنى فى تلك السنة . فرآها ومعها امرأة من قومها . فدهش وبقى واقفا مكانه ومضت لسبيلها . ثم أرسلت إليه بالمرأة تبلغه السلام وتسأله عن خبره . فألفته جالسا وحده ينشد ويبكى :

ويوم منى أعرضت عنى فلم أقل   بحاجة نفس عنـــد لبنى مقالها

فدخلت خباءه وجعلت تحدثه عن لبنى وتحدثها عن نفسه مليا . ولم تعلمه أن لبنى أرسلتها إليه . فسألها أن تبلغها عنه السلام . فامتنعت عليه . فأنشأ يقول :

إذا طلعت شمس النهار فسلمى   فآية تسليمى عليك طلوعهـــا

وقضى الناس حجهم وانصرفوا . فمرض قيس فى طريقه مرضا شديدا أشفى منه على الموت . فلم يأته رسولها عائدا لأن قومها رأوه وعلموا به فمنعوه . فقال :

ألبنى لقد جلت عليك مصيبتى   غداة غد إذ حل ما أتوقـــع

فبلغتها الأبيات . فجزعت جزعا شديدا . وبكت بكاء كثيرا . ثم خرجت إليه ليلا على موعد فاعتذرت وقالت : إنما أبقى عليك وأخشى أن تقتل . فأنا أتحاماك لذلك . ولولا هذا لما افترقنا . وودعته وانصرفت . وكان بلغه أن أهلها قالوا لها : إنه عليل لما به وإنه سيموت فى سفره هذا . فقالت لهم لتدفعهم عن نفسها : ما أراه إلا كاذبا فيما يدعى ومتعللا لا عليلا . فبلغه ذلك فقال :

تكاد بلاد الله يا أم معمـــر   بما رحبت يوما على تضيـــق

ولما طال على قيس ما به ، أشار قومه على أبيه أن يزوجه امرأة جميلة . فلعله أن يسلو بها عن لبنى . فدعاه إلى ذلك فأبى ، وقال :

لقد خفت ألا تقنع النفس بعدها   بشىء من الدنيا وإن كان مقنعا

فأعلمهم أبوه برده . فاتفقت آراؤهم على أن يأمره بتصفح أحياء العرب ، فربما وقعت عينه على امرأة تستميل قلبه . فأقسم عليه أبوه أن يفعل . فسار

حتى نزل بحى من فزارة ، فرأى جارية حسناء قد كشفت عن وجهها برقع خز ، وهى كالبدر ليلة تمامه حسنا وبهجة . فسألها عن اسمها . فقالت : لبنى . فسقط مغشيا عليه ، فارتاعت منه ونضحت على وجهه ماء . فأفاق فسألته عن نسبه فانتسب لها . وأقسمت عليه أن ينال من طعامها فتناول قليلا ومضى .

فأتى على أثره أخ لها كان غائبا ، فرأى مناخ ناقته . فسألهم عنه فأخبروه . فركب حتى رده إلى منزله . وحلف عليه لينزلن عنده . فأجابه بعد إلحاح . وأعجب الفزارى بحديث قيس . وازداد به إعجابا بمرور الأيام . فعرض عليه أن يتزوج أخته لبنى . فقال قيس : يا هذا ، إن فيك لرغبة . ولكننى فى شغل لا ينتفع بى معه . فلم يزل يعاوده حتى لامه قومه . وهو يقول لهم : دعونى . ففى مثل هذا الفتى يرغب الكرام . ولأمر ما رضخ قيس ورضى بزواجها . ولكنه عندما دخل عليها . أفاق من غشيته . فلم تهش نفسه إليها . ولا دنا منها ، ولا نظر إليها . وأقام على ذلك أياما كثيرة . ثم أعلم أهل زوجه أنه يريد الخروج إلى قومه أياما فأذنوا له . فمضى عنهم . ولم يرجع إليها أبدا .

ولكن خبر زواجه كان قد بلغ لبنى فغمها وأغاظها وقالت : إنه لغدار ! ولقد كنت أمتنع من إجابة قومى إلى التزويج فأنا الآن أجيبهم . وتزوجت فعلا من خالد . وقد جعل نساء الحى يقلن ليلة زفافها :

لبينى زوجهـا أصبـــح لا حــر يوازيه
له فضل عــلى الناس بما باتت تناجيـــه
وقيس ميت حــى صريع فى بواكيه
فــلا يبعــده الله وبعـــدا لنواعيـه

وسمع قيس الخبر فجزع جزعا شديدا ، فركب من فوره حتى أتى محلة قومها . فناداه النساء : ما تصنع الآن ها هنا ! قد نقلت لبنى إلى زوجها ! وجعل الفتيان يعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها ، وهو لا يجيبهم حتى أتى موضع خبائها فنزل عن راحلته ، وجعل يمرغ خده على ترابها ويبكى أحر بكاء . ثم قال :

إلى الله أشكو فقد لبنى كما شكا إلى الله فقـــد الوالدين يتـــيم

وعندما تأكد لديه خبر رحيلها عن وطنها وانتقالها إلى زوجها بالمدينة ، قال :

بانت لبيني فهاج القلب من بانا وكان ما وعدت مطلا وليانـا

وأراد قيس أن يؤمن السبل لزيارة لبنى ، فوفد على يزيد فقدمه إلى معاوية . فشكا ما به إليه وامتدحه . فرق له وأدناه ، وأمر له بخمسة آلاف درهم ومائتى دينار . وقال له : كيف وجدك بلبنى ؟ فقال : أشد وجد . وأنشده :

أضـــوء سنا برق بدا لك لمعـــه بذى الأثل من أجراع بيشة ترقب

فقال له : سل ما شئت ، إن شئت أن أكتب إلى زوجها فأحتم عليه أن يطلقها فعلت . قال : لا أريد ذلك ، ولكن أحب أن أقيم بحيث تقيم من البلاد ، أتعرف أخبارها وأقنع بذلك من غير أن يهدر دمى . قال : لو سألت هذا من غير أن ترحل إلينا فيه لما وجب أن تمنعه ، فأقم حيث شئت . وأخذ يزيد كتابا من أبيه يأذن له فيه بأن يقيم حيث شاء وأحب . ولا يعترض عليه أحد . وأزال ما كان كتب به فى إهدار دمه .

وعاد قيس إلى سيرته الأولى من التنقل بين منازله فى ظاهر المدينة والوفود على المدينة نفسها بعلة ما يخترعها اختراعا . أعلم أباه ذات يوم أنه يريد المدينة ليبيع بعض إبله ويمتار لأهله بثمنها . فعرف أبوه أنه إنما يريد لبنى ، فعاتبه وزجره عن ذلك . فلم يقبل منه وذهب إلى المدينة . فبينا هو يعرض الإبل ، إذ ساومه زوج لبنى بناقة منها ، وكلاهما لا يعرف الآخر ، فباعه إياها . فقال له زوج لبنى : إذا كان غد فأتنى فى دار كثير بن الصلت فاقبض الثمن . قال : نعم . وأعد زوج لبنى لقيس طعاما . فلما كان الغد ، جاء قيس فصاح بالخادم : قولى لسيدك ، صاحب الناقة بالباب . فعرفت لبنى صوته ولم تقل شيئا . وأمر زوجها بإدخاله . فدخل وجلس . فأمرت لبنى الخادم أن تقول : يا فتى ، ما لى أراك أشعث أغبر ؟ فقالت له ذلك . فتنفس ثم قال لها : هكذا تكون حال من فارق الأحبة واختار الموت على الحياة . وبكى . فأمرتها لبنى أن تطلب منه أن يحدثهم بحديثه . فما أن بدأ يتحدث حتى كشفت الحجاب وقالت : حسبك !

قد عرفنا حديثك ! وأسبلت الحجاب . فبهت ساعة لا يتكلم ثم انفجر باكيا ونهض مسرعا وخرج . وناداه زوجها . ويحك ! ما قصتك ؟ ارجع اقبض ثمن ناقتك . فلم يكلمه وامتطى ناقته ومضى . وقالت لبنى لزوجها : ويحك ! هذا قيس بن ذريح ، فما حملك على ما فعلت به ؟ قال : ما عرفته . وجعل قيس يبكي في طريقه ينادب نفسه ويوبخها على فعله ثم قال :

أتبكى على لبنى وأنت تركتها ... وأنت عليها بالملا أنت أقدر

ودست إليه لبنى بعد خروجه رسولا ، وقالت له : استنشده ، فإن سألك عن نسبتك فانتسب له خزاعيا . فإذا أنشدك فقل له : لم تزوجت بعدها حتى أجابت إلى أن تتزوج بعدك ؟ واحفظ ما يقول لك حتى ترده على . فأتاه الرسول فسلم وانتسب خزاعيا ، وذكر أنه من أهل الشام . واستنشده فأنشده قوله :

فأقسم ما عمش العيون شوارف ... روائم بو حانيات على سقب

فقال له الرسول : فلم تزوجت بعدها ؟ فأخبره الخبر . وحلف له أن عينه ما اكتحلت بالمرأة التي تزوجها ، وأنه لو رآها في نسوة ما عرفها ، وأنه ما مد يده إليها ، ولا كلمها ، ولا كشف لها عن ثوب . فقال له الرسول : فإني جار للبنى ، وإنها من الوجد بك على حال قد تمنى زوجها معها أن تكون بقربها لتصلح حالها بك ، فحملني إليها ما شئت أؤده إليها . قال : تعود إلي إذا أردت الرحيل . فعاد إليه لما أراد الرحيل . فقال : تقول لها :

ألا حى لبنى اليوم إن كنت غاديا ... وألم بها من قبل أن لا تلاقيا

وأتى قيس المدينة مرة أخرى ، فنزل على امرأة من موالى بنى زهرة يقال لها بُريكة ، وكانت من أظرف النساء وأكرمهن ، وكان لها زوج من قريش له دار ضيافة . وقدم قيس لبريكة هدايا وألطافا كثيرة ، فرحبت به . وأعلمها أنه قصدها في حاجة ، فإن وجد لها عندها موضعا نزل بها وإلا رحل . فقالت : حاجتك مقضية كائنة ما كانت . فقال : أنا قيس بن ذريح . قالت : حياك الله وقربك ! إن ذكرك لجديد عندنا في كل وقت . قال : وحاجتي أن أرى لبنى نظرة واحدة كيف شئت . قالت : ذلك لك على . فنزل عندها وأخفت أمره .

وزارت بريكة لبنى مرارا وقدمت لها هدايا مما جلب قيس معه . وبعد مدة قالت بريكة لزوج لبنى : أخبرنى عنك : أنت خير من زوجى ؟ قال : لا . قالت : فلبنى خير منى ؟ قال : لا . قالت : فما بالى أزورها ولا تزورنى ؟ قال : ذلك إليها . فأتتها وسألتها الزيارة وأعلمتها أن قيسا عندها . فأسرعت إلى بيتها . فلما رآها ورأته بكيا حتى كادا يتلفان . ثم جعلت تسأله عن خبره وعلته فيخبرها ، ويسألها فتخبره . ثم عاتبته على تزوجه . فحلف أنه لم ينظر إليها ملء عينيه ولا دنا منها فصدقته . وقال :

ولقد أردت الصبر عنك فعاقنى   علق بقلبى من هواك قديم

فلم يزل يومه معها يحدثها ويشكو إليها أعف شكوى وأكرم حديث حتى أمسى . فانصرفت ووعدته الرجوع إليه . ويبدو أن الزيارات تعددت ، والأخبار شاعت ، فأحس الزوج بالأمر ، فمنع لبنى من زيارة بريكة . فكتب قيس رقعة دفعها إلى بريكة وسألها أن توصلها إليها ، وكان فيها :

بنفسى من قلبى له الدهر ذاكر   ومن هو عنى معرض القلب صابر

ولم يزل قيس تارة يتوصل إلى زيارة لبنى بالحيلة عليها ، وتارة تزوره ، حتى شهر أمره بالمدينة ، وغنى فى شعره كبار المغنين . فلم يبق شريف ولا وضيع إلا سمع بذلك ، فأطربه وحزن لقيس مما حل به . وغضب زوج لبنى فأنبها وعاتبها ، وقال : قد فضحتنى بذكرك . فغضبت وقالت : يا هذا إنى والله ما تزوجتك رغبة فيك ولا فيما عندك ولا دلس أمرى عليك ، ولقد علمت أنى كنت زوجته قبلك وأنه أكره على طلاقى ، ووالله ما قبلت التزويج حتى أهدر دمه إن ألم بحينا ، فخشيت أن يحمله ما يجد على المخاطرة فيقتل فتزوجتك ، وأمرك الآن إليك ففارقنى فلا حاجة بى إليك . فأمسك عن جوابها . وحاول بعد أن يتلطفها ، فأخفق .

وأخيرا كانت النهاية.

النهاية ... التى اختلف فيها الرواة . فذكر أكثرهم أنهما ماتا مفترقين ، وأقلهم اجتماعهما قبل الموت . بل اختلف كل فريق من الاثنين فيما بينهم .

فذهب جماعة من الفريق الأول إلى أن قيسا مات قبل لبنى ، وبلغها ذلك فماتت أسفا عليه .

وذكر المدائنى أن لبنى ماتت قبله ، فتزايد ولعه وجزعه ، وخرج فى جماعة من قومه إلى أن وقف على قبرها ، فقال :

ماتت لبنى فموتها موتى   هل تنفعن حسرة على الفوت

ثم أكب على القبر يبكى حتى أغمى عليه . فرفعه أهله إلى منزله وهو لا يعقل . ولم يزل عليلا لا يفيق ولا يجيب ثلاثة أيام حتى مات ودفن إلى جنبها .

وروى جماعة آخرون أن قيسا قصد ابن أبى عتيق ليجد له خلاصا . فأتى هذا إلى الحسن والحسين ابنى على بن أبى طالب ، وعبد الله بن جعفر ، وجماعة من قريش . فقال لهم : إن لى حاجة إلى رجل أخشى أن يردنى فيها ، وإنى أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه . قالوا : ذلك له مبتذل منا . فاجتمعوا ليوم وعدهم فيه . فمضى بهم إلى زوج لبنى . فلما رآهم أعظمهم ورحب بهم . فقالوا : لقد جئناك بأجمعنا فى حاجة لابن أبى عتيق . فقال : هى مقضية كائنة ما كانت . قال ابن أبى عتيق : قد قضيتها كائنة ما كانت من ملك أو مال أو أهل ؟ قال : نعم . قال : تهب لهم ولى لبنى زوجتك وتطلقها . قال : فإنى أشهدكم أنها طالق ثلاثا . فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا : والله ما عرفنا حاجته ، ولو علمنا أنها هذه ما سألناك إياها . وعوضه الحسن من ذلك مئة ألف درهم وعبد الله ابن جعفر عشرة آلاف درهم .

وقد أنكر الأستاذ الدكتور طه حسين محقا هذه الواقعة إنكارا شديدا ، ووصفها بالضعف والوهن إذا ما قورنت ببقية أجزاء قصة قيس بن ذريح .

واختلف رواة هذه الواقعة . فذهب جماعة منهم إلى أن لبنى ماتت ولم تقض عدتها بعد ، وذهب آخرون إلى أنها قد أتمت عدتها ثم راجعها قيس ، وهنئا بالعيش معا مرة أخرى .

وتتفق الجماعتان على أن قيسا مدح ابن أبى عتيق ، من أجل يده تلك ، فقال :

جزى الرحمن أفضل ما يجازى   على الإحسان خيرا من صديق

وترى الجماعة الأولى أن هذا المدح كان منه قبل أن تموت لبنى .

ولا زال لدينا جماعة أخرى لم تحب أن تزج باسم الحسن والحسين وأشراف قريش فى مثل هذا الأمر ، فروت أن قيسا عندما باع ناقته لزوج لبنى ، ثم خرج جاريا من بيته ، اتبعه الرجل ليعطيه ثمن الناقة . فقال له قيس : لا تركب لى مطيتين أبدا ! قال : أو أنت قيس بن ذريح ؟ قال : نعم . قال : هذه لبنى ، فارجع لنخيِّرها فإن اختارتك طلقتها . وكان الرجل يظن أن له فى قلبها موضعا . فخيرها فاختارت قيسا . فطلقها لوقته . وماتت فى العدة أو تزوجها قيس بعد انقضائها ، وبقيا دهرا بأرغد عيش .

وجعل الذهبى وفاة قيس بن ذريح فى الطبقة التى تقع وفياتها بين سنتى ٦١ و ٧٠ هـ . وذكر ابن شاكر الكتبى والصفدى : أن وفاة قيس ولبنى كانت فى حدود السبعين من الهجرة . ورأى بروكلمن أنه توفى عام ٦٨ هـ . وقد سقطت السنة من تزيين الأسواق .

تلك هى قصة قيس بن ذريح .

قد نرفض منها أشياء وأشياء . نرفض الدور الذى عزى إلى الحسين وأهله القيام به (١) ، والحكم الصادر من الخليفة على الشاعر ، ورفض أم قيس أن يتزوج ابنها من قبيلتها خزاعة ، والمبالغة فى المدة التى قضاها أبو قيس متعرضا للهجير ، وفى وصف ما أصاب قيسا بعد الطلاق من تمرغ فى التراب ، وتقبيل لآثار الأقدام ، وما شاكل ذلك ، وفى القول بأنه لم ينظر إلى زوجته الثانية ولم يكلمها ، ونعت أخى هذه الزوجة بالإصرار على تزويجها من قيس ، والإصرار على عدم تطليقها منه بعد أن هجرها إلى أن توفيت ، وبعض ما صدر منه فى المدينة ، والنهاية التى سيقت إليها . قد نرفض كل ذلك وغيره .

ولكن تبقى القصة فى مجملها : « أبعد القصص عن الإحالة والمبالغة ... فإذا أردنا أن نختصرها أو أن نتلمس لها صيغة تقوم عليها ، استطعنا أن نقول :

---

(١) استشهد الحسين عام ٦١ ، ومحال أن يتشفع به قيس وابن أبى عتيق عند زوج لبنى حوالى عام ٧٠ ، كما يدعى من يرون أن لبنى ماتت فى العدة .

إنها جهاد بين البر والواجب . رجل يريد أن يكون برا بأبويه ووفيا لزوجه ، فيستحيل عليه التوفيق بين هاتين الخصلتين . فيضحى باحداهما فى سبيل الأخرى . ولكن هذه التضحية تنغص عليه حياته كلها ، وتضطره إلى ألوان من الهول ، وضروب من الألم لا تكاد تحصى . فقصتنا إذن قصة نفسية خلقية بالمعنى الحديث لهاتين الكلمتين ... فأولها قيم ، لأنه يعتمد على أساس متين . وسياقها كله قيم ، لأنه بعيد من المبالغة يكاد يخلو مما لا يقبله العقل (١) » .

* * *

قال الجاحظ (٢) : ما ترك الناس شعرا مجهول القائل قيل فى ليلى إلا نسبوه إلى المجنون . ولا شعرا هذه سبيله قيل فى لبنى إلا نسبوه إلى قيس بن ذريح .

وذلك قول حق ؛ فالدواوين التى أصدرتها المطبعة العربية من شعر العشاق العذريين خليط عجيب . وقد تضافرت عدة عوامل أنتجت هذه الظاهرة الغريبة ، الخاصة بالشعر العذرى ، والشائعة بين الشعراء العشاق .

وأول هذه العوامل معاصرة كثير من هؤلاء الشعراء المعروفين . فهم عاشوا فى أواخر العصر الجاهلى والعصر الإسلامى والأموى . وقد طال العمر ببعضهم فشاهد الدولة العباسية ، ولكنهم كانوا قليلين ، وكانوا ظاهرة شاذة فيه . والحق أنهم كانوا بقايا متخلفة عن العصر الأموى .

وثانيها التماثل الجلى فى مشاعر هؤلاء العذريين ، وظروف حياتهم ، والأحداث التى عانوها ، وما ألهمتهم من أقوال . فجميعهم أحب واحدة ، حالت بينه وبينها العقبات ، فلم ينل مناه منها . وكلهم كان يقول الشعر ليخفف عن نفسه وطأة ما يعانى من آلام . دون أن يحاول تأنيا ، أو تثقيفا لعبارته ، أو تجويدا لفنه ، أو إعمالا لذهنه .

والثالث اشتهار بعض هؤلاء الشعراء ، ونسيان بعضهم الآخر . فصار المشهور منهم بطلا ، اتخذه الناس مثلا للمحب العذرى ، يديرون حوله ما يحبون

---

(١) طه حسين : حديث الأربعاء ٢ : ٣٧ ، ٤٦

(٢) أبو الفرج : الأغانى ٢ : ٨ والعينى : المقاصد النحوية ١ : ٣٧٥

أن يديروا حول الأبطال عادة من قصص . فعزوا إليه ما وصل إليهم من أخبار غيره من غير المعروفين ، وابتكروا له قصصا أخرى من عندهم .

ثم المغنون : فإنهم اتخذوا لهم فى أصواتهم منهجا انتخابيا . فكانوا يختارون الأبيات التى يلحنونها فى الصوت الواحد من القصائد المتحدة الوزن والقافية من الشعراء المختلفين ، لا يهمهم إلا جمال اللفظ ، وموسيقية العبارة ، ومناسبة الأبيات لما يريدون التعبير عنه . ولعل أيسر ما فعلوا تغيير ترتيب القصائد وقلبها رأسا على عقب ، واختيار ألحانهم من الأبيات المتباعدة . وكتاب الأغانى كله شاهد حى على ما فعل المغنون فى الشعر العربى .

ثم اتحاد اسم شاعرنا واسم مجنون ليلى ، فكلاهما يدعى قيسا . فإذا اقتصر القائل أو الراوى على هذا الاسم حار السامع فيمن يعنيه ، وحصل اللبس والخلط .

وأخيرا تلك القصة التى أولع بها المؤلفون العرب ، وجمعت بين شعر قيس ابن ذريح وشعر مجنون ليلى . فقد رواها كل مؤلف بصورة مختلفة ، جعلت من اليسير الخلط بين شعر الشاعرين . وهذه هى الرواية التى نجدها فى الشعر والشعراء لابن قتيبة (١) :

« خرج شيخ من بنى مرة إلى أرض بنى عامر ليلقى المجنون . قال : فدللت على خيمة فأتيتها . فإذا أبوه شيخ كبير ، وإخوة له رجال ، وإذا نعم ظاهرة وخير كثير ، فسألتهم عن المجنون : فاستعبروا جميعا وبكوا . وقال الشيخ : والله لهو كان آثر هؤلاء عندى ، وإنه عشق امرأة من قومه ، والله ما كانت تطمع فى مثله ؛ فلما أن فشا أمره وأمرها ، كره أبوها أن يزوجه إياها بعد ظهور الخبر ، فزوجها من رجل آخر ، فجن ابنى وجدا عليها وصبابة بها ، فحبسناه وقيدناه ، فكان يعض لسانه وشفتيه حتى خشينا أن يقطعهما ، فلما رأينا ذلك خلينا سبيله ، فهو فى هذه الفيافى مع الوحش ، يذهب فى كل يوم بطعامه فيوضع له حيث يراه ، فإذا تنحوا عنه جاء فأكل ؛ وإذا أخلقت ثيابه أتوه بثياب فيلقونها حيث يراها ويتنحون عنه ، فإذا رآها أتاها فألقى ما عليه ثم لبسها .

---

(١) ٣٦١

قال : فسألتهم أن يدلونى عليه لآتيه ، فدلونى على فتى من الحى ، وقالوا : لم يزل صديقه ، وليس يأنس بأحد إلا به ، فهو يأخذ أشعاره فيأتينا بها . فسألته أن يدلنى على ما أحتال به للدنو منه . فقال : إن كنت تريد شعره ، فكل شعر قاله إلى أمس فهو عندى ، وأنا أذهب غدا فإن كان قال شيئا أتيتك به . قال : فقلت له : لا بل تدلنى عليه فآتيه . فقال : إن نفر منك تخوفت أن ينفر منى فيذهب شعره . قال : فأبيت إلا أن يدلنى عليه . فقال : نعم اطلبه فى هذه الصحارى ، فإذا رأيته فادن منه مستأنسا ولا تظهر النفار منه ، فإنه يتهددك ويتوعدك ، وبالحرا أن يرميك بشىء إن كان بيده ، واجلس كأنك لا تنظر إليه ، والحظه ببصرك ، فإن رأيته قد سكن أو عبث بيده فأنشده شعرا إن كنت تروى لقيس بن ذريح شيئا فإنه يعجب به .

قال : فخرجت أدور يومى ، فما رأيته إلا بعد العصر جالسا على قوز من رمل ، قد خط بإصبعه فيه خطوطا . فدنوت منه غير منقبض منه فنفر والله منى كما تنفر الوحش إذا نظرت إلى الإنس ، وإلى جانبه أحجار ململمة ، فتناول واحدا منها . فأقبلت حتى جلست إليه . ومكث ساعة وكأنه الشىء النافر المتهيئ للقيام . فلما طال جلوسى ، سكن وأقبل يعبث بأصابعه . فنظرت إليه فقلت : أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول :

وإنى لمفن دمع عينى بالبكا حذار الذى لما يكن وهو كائن

فبكى طويلا ثم قال : أنا والله أشعر منه حيث أقول :

وأدنيتنى حتى إذا ما فتنتنى بقول يحل العصم سهل الأباطح

ثم عنت له ظباء فوثب فى طلبها ، فانصرفت .

ثم عدت من الغد فلم أصبه . فرجعت فأخبرتهم . فوجهوا الذى كان يذهب بطعامه ، فأخبرهم أنه على حاله لم يأكل منه شيئا . ثم عدت اليوم الثالث ، فلم أصبه ونظرت إلى طعامه فإذا هو على حاله . ثم غدوت بعد ذلك وغدا إخوته وأهل بيته . فطلبناه يومنا وليلتنا فما أصبناه . فلما أصبحنا أشرفنا على واد كثير الحجارة ، فإذا هو ميت بينها ، فاحتملوه ودفنوه » .

وزادت القصة قليلا عند أبي الفرج ، فجعل المقطوعتين أربعا . قال (١) :

« ... فأقبلت عليه وقلت : أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول :

ألا يا غراب البين ويحك نبّني بعلمك فى لبنى وأنت خبـــير

فأقبل على وهو يبكى فقال : أحسن والله ، وأنا أحسن منه قولا حيث أقول :

كأن القلب ليلة قيل يغـــدى بليـــلى العامرية أو يـــراح

فأمسكت عنه هنيهة ، ثم أقبلت عليه فقلت : وأحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول :

وإنى لمفن ...

قال : فبكى والله حتى ظننت أن نفسه قد فاضت ، وقد رأيت دموعه قد بلت الرمل الذى بين يديه . ثم قال : أحسن لعمر الله وأنا والله أشعر منه حيث أقول :

وأدنيتنى ... » .

وامتد بها الطول والعرض عند ابن عساكر ، حتى كاد يشمل جميع شعر قيس . قال عن نوفل بن مساحق (٢) :

« وليت صدقات كعب بن ربيعة ، فقلت لرجل من بنى عامر : أحب أن أرى قيس بن معاذ وأسمع منه . فقال لى : إذا أردت أن تستخرج ما عنده فاعرض له شعرا رقيقا من أشعار العشاق . فطلبته يوما فوجدته فى ظل أراكة يحدث نفسه . فقربت منه وكأنى لا أريده . وأنشدت قول قيس بن ذريح :

ألا يا غراب البين ويحك نبّني بعلمك فى لبنى وأنت خبـــير

فتهيج وقال : أنا والله أشعر منه ، أنا الذى أقول :

ألا يا غراب البين لونك شاحب وأنت بلوعات الفراق جـــدير

---

(١) الأغانى ٢ : ٨٨

(٢) تاريخ دمشق ٢٧ : ٤٩٢

قلت : قاتل الله قيسا حيث يقول :

فما أنا إن بانت لبينى بهاجـــع إذا ما اطمأنت بالرجال المضاجع

فقال : أنا أشعر منه ، أنا الذى أقول :

تبارك ربى كم لليلى إذا انتحت بها النفس عندى من خصيم وشافع

قلت : قاتل الله قيسا حين يقول :

ألا ليت أياما مضين تعـــود فان عدت لبنى إننى لســعيد

فقال : أنا أشعر منه ، أنا الذى أقول :

إذا ذكرت ليلى هششت لذكرها كما هش للثدى الدرور وليـــد

قلت : قاتل الله قيسا حيث يقول :

أريد سلوا عن لبينى وذكرها فيأبى فؤادى المســتهام المتيم

قال : أنا أشعر منه ، أنا الذى أقول :

فان تك ليلى العامرية أصبحت على النأى منى ذنب غيرى تنقم

قلت : قاتل الله قيسا حيث يقول :

وإنى لأهوى النوم فى غير حينه لعل لقاء فى المنام منك يكون

قال : أنا أشعر منه ، أنا الذى أقول :

مضى زمن والناس لا يأمنوننى وإنى على ليـــلى الغداة أمين »

وأورد السراج فى مصارع العشاق صورتين أخريين للقصة . قال عن رجل (١) :

« جلست فى ظل شجرة وقلت : ما أشعر قيسا حيث يقول :

يبيت ويضحى كل يوم وليلة على منهج تبكى عليه القبائـــل

فقال [المجنون] : أنا والله أشعر منه حيث أقول :

سلبت عظامى لحمهـــا فتركتها معرقة تضحى إليك وتخـــصر

(١) ١ : ٢٣٥

ثم مر فجمز فى الصحراء . فلما كان فى اليوم الثانى أتيته ، فجلست فى ذلك الموضع . فلما أحسست به قلت : ما أشعر قيسا حيث يقول :

تباكر أم تروح غدا رواحـــا ⁝ ولن يســـطيع مرتهن براحــا

فقال : أنا أشعر منه حيث أقول :

فما وجد مغلوب بصنعاء موثق ⁝ بساقيه من ثقل الحديد كبول

وقد خلط داود الأنطاكى الصور السابقة جميعا ، وجعلها قصة واحدة ، دارت فى عدة أيام ، لا يوما واحدا ، ولا يومين ، كما تذكر الروايات المذكورة فراوى القصة فى التزيين يختمها بقوله : « ولم أزل أعاوده أكتب ما يقول إلى أن تطلبته فوجدته بين أحجار ميتا » .

وهذه هى الصورة الثانية التى أوردها السراج مرتين فى كتابه :

« كان عبد الملك يجلس فى كل أسبوع يومين جلوسا عاما . فبينا هو جالس فى مستشرف له ، وقد أدخلت عليه القصص ، إذ وقعت فى يده قصة غير مترجمة ، فيها : « إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر جاريته فلانة تغنينى ثلاثة أصوات ثم ينفذ فى ما شاء من حكمه » . فاستشاط من ذلك غضبا ، وقال : يا رباح ، على بصاحب هذه القصة . فخرج الناس جميعا . وأدخل عليه غلام من أجمل الفتيان وأحسنهم . فقال له عبد الملك : يا غلام ، أهذه قصتك ؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين . قال : وما الذى غرك منى ؟ والله لأمثلن بك ، ولأردعن بك نظراءك من أهل الجسارة ، على بالجارية . فجىء بها كأنها فلقة قمر ، وبيدها عود ، فطرح لها الكرسى فجلست . فقال عبد الملك : مرها ، يا غلام . فقال لها : غنينى يا جارية بشعر قيس بن ذريح :

لقد كنت حسب النفس لو دام ودنا ⁝ ولـــكنما الدنيا متـــاع غـــرور

فغنت . فخرج الغلام من جميع ما كان عليه من الثياب تخريقا . ثم قال له عبد الملك : مرها تغنك الصوت الثانى . فقال : غنينى بشعر جميل :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلـــة ⁝ بوادى القرى ، إنى إذن لسعيد

---

(١) التزيين ١ : ٦٦

(٢) ٢ : ١٠١، ٢١٥

فغنته الجارية . فسقط الغلام مغشيا عليه ساعة ، ثم أفاق . فقال له عبد الملك : مرها فلتغنك الصوت الثالث . فقال : يا جارية ، غنيني بشعر قيس بن الملوح المجنون :

وفى الحيرة الغادين من بطن وجرة غزال غضيض المقلتين ربيب

فغنته الجارية . فطرح الغلام نفسه من المستشرف ، فلم يصل إلى الأرض حتى تقطع . فقال عبد الملك : ويحه لقد عجل على نفسه ، ولقد كان تقديرى فيه غير الذى فعل . وأمر فأخرجت الجارية من قصره ... » .

فأمثال هذه الأخبار التى تجمع بين أشعار العذريين جمعا ساذجا ، لا رابط حقيقى له ، والتى انتشرت على نطاق واسع بين المؤرخين والأدباء ، كان من اليسير حذف ما يريد المؤلف أن يحذف منها ، وأن يضيف ما يريد إضافته ، بل كان من اليسير الخلط بين الشعر الوارد فيها ، ونسبة القطعة منها إلى غير صاحبها . وقد حدث كل ذلك .

كل ما سبق من أمور كان من الأسباب التى جعلت الرواة والكتاب يخلطون بين الشعر العذرى ، وينسبون القطعة الواحدة منه إلى الشعراء المتعددين . ونضيف إليها الأسباب التى تشمل الشعر العربى كله من اعتماد على الرواية ، وتأخر فى تدوين بعضه ، وطبيعة الخط العربى ، وما شابه ذلك .

° ° °

وتتجلى ظاهرة الخلط فى شعر قيس بن ذريح تجليا بينا . فقد استطعت أن أعثر على ست وسبعين قطعة أو قصيدة معزوة إليه . ولكنه لا ينفرد بغير ثلاث وأربعين . أما بقيتها فتنسب إليه وإلى غيره .

ويبلغ الشعراء الذين نازعوا قيسا ما نسب إليه من شعر خمسة وعشرين ، أهمهم كلهم مجنون ليلى ، فهما يتنازعان أربعا وعشرين مقطوعة . ويليه جميل بثينة ، ويتنازعان اثنتى عشرة مقطوعة . ثم ابن الدمينة ، ويتنازعان أربع مقطوعات ، فكثير عزة ويشتركان فى ثلاث ، فعروة بن حزام ويشتركان فى اثنتين .

ثم تنسب مقطوعة واحدة إلى قيس ، وواحد من الشعراء الآتية أسماؤهم : البعيث المجاشعي ، تَوْبة بن الحميِّر ، جَحْدر ، الحارث بن خالد المخزومي ، حسان بن ثابت ، الصمة بن عبد الله القشيري ، الضحاك بن عقيل الخفاجي ، الضحاك بن عمارة ، طَهْمان بن عمرو الكلابي ، عبد الله بن مصعب ، عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عمرو بن حكيم التميمي ، عمرو بن المسلم ، محمد بن بشير الخارجي ، مُضرِّس بن قُرْط المزني ، ابن المعذلوط ، ابن ميادة المري ، نُصَيب ، أبو وجزة السعدي ، يزيد بن الطثرية .

والجلي أن شعر قيس يختلط في يسر بشعر صنف معين من الشعراء ، هم الشعراء العشاق ، أو العذريون منهم خاصة ، فإن اختلط بشعراء غيرهم ، اختلط بغزلهم وحده .

ولنكمل صورة هذا الاختلاط ، ننظر إليه من جانب القصائد أيضا كما نظرنا إليه من جانب الشعراء . فاذا فعلنا ذلك ، رأينا مقطوعة واحدة ، يتنازع أبياتها ستة شعراء غير قيس بن ذريح . فمجنون ليلى ، وجميل بثينة ، وعمرو ابن حكيم التميمي ، والضحاك بن عمارة ، والضحاك بن عقيل ، وطهمان بن عمرو يتنازعون العينية (٤٠) . وهناك مقطوعة أخرى (٣٨) يتنازع أبياتها خمسة شعراء غير قيس : ابن الدمينة ، والبعيث المجاشعي ، ومجنون ليلى ، ويزيد بن الطثرية ، وعمرو بن المسلم : بل يتنازعون في الحقيقة خمسة أبيات منها فقط . وهناك سبع مقطوعات تنسب لثلاثة شعراء ، وعشر مقطوعات تنسب لشاعرين ، كلها إلى جانب قيس بن ذريح .

وغريب أن الرواة لم يكونوا يأبهون لما ينسبون إلى الشعراء من الشعر فكان بين أيديهم مقطوعات تدل ألفاظها على أنها لشاعر معين في جلاء ووضوح ، ولكنهم نسبوها إلى غيره في بساطة عجيبة . فلست أدري كيف جرؤ أبو هلال العسكري ، وحسب المبرد ، أن المقطوعة التالية لقيس بن ذريح ، وهي تقول :

كأن القلب ليلة قيل يغدى　　بليلى العامرية أو يراح
قطاة عزها شرك فباتت　　تجاذبه وقد علق الجناح

فاذا كان فى الإمكان الخلط بين ليلى ولبنى ، فبم تختلط العامرية ؟

وكان بين أيديهم مقطوعات أخرى تبين معانيها كل التبيين أنها صادرة من صنف معين من الشعراء ، ولكن الرواة نسبوها إلى صنف يختلف عنهم كل الاختلاف . فلست أدرى علام استند البصرى فى حماسته حين عزا لقيس المقطوعة الآتية :

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن عليك شجا فى الحلق حين تبين
وإن هى أعطتك الليان فإنها لآخر من خلانها ستلين
وإن حلفت لا ينقض النأى عهدها فليس لمخضوب البنان يمين

فكل فكرة من أفكارها تباين كل ما يعرف عن العذريين ، وتنادى بأنها صادرة عن شاعر ماجن كبشار أو أبى نواس وأمثالهما .

وهناك مقطوعات أخرى ليست فى جلاء السابقة ، ولكنى أستبعد صدور ما بها من معان ، وما تضمه من اتجاهات ذهنية ، عن محبى العصر الأموى العذريين . أمثل لهذا النوع بالمقطوعة التالية :

أحبك أصنافا من الحب لم أجد لها مثلا فى سائر الناس يوصف
فمنهن حب للحبيب ، ورحمة بمعرفتى منه بما يتكلف
ومنهن ألا يعرض الدهر ذكرها على القلب إلا كادت النفس تتلف
وحب بدا بالجسم واللون ، ظاهر وحب لدى نفسى من الروح ألطف

فهذا التصنيف للحب وليد عصر ظهرت فيه ألوان التصنيف المختلفة . فى عالم الثقافة ، وليس كذلك العصر الأموى . فالدكتور طه حسين على حق حين يرفضها .

ويسود قصائد قيس الطويلة ظاهرة غريبة هى تكرر قوافيها بصورة لافتة للنظر . فالقصيدة العينية المؤلفة من اثنين وعشرين بيتا (٤٠) تتكرر فيها قافيتان : ربيع ، وجميع . والقصيدة القافية المؤلفة من ثمانية وعشرين بيتا تتكرر فيها إحدى عشرة قافية ، إذا أدخلنا فيها الصور المختلفة من الكلمة الواحدة ، وإن كانت العادة جرت على اعتبارها قوافى منفصلة . وقد يفسر لنا هذه الظاهرة أن القصيدة القافية يتنازعها شعراء مختلفون ، فربما كانت الأبيات المتحدة القافية

لشعراء مختلفين . ولكن الظاهرة نفسها تسود القصيدة العينية الأخرى (٣٨) المؤلفة من أربعة وخمسين بيتا ، على نطاق واسع . فترد فيها سبع كلمات قوافى إحدى وعشرين مرة ، وهى واقع ، جامع ، المضاجع ، صانع ، الأضالع ، نافع ، الأصابع . بل ترد الكلمة الأولى خمس مرات ، والثانية والثالثة أربع مرات . ولم يذكر الرواة تنازعا بين الشعراء فى غير خمسة أبيات منها فقط . ولذلك أشعر بشىء من الشك يتسرب إلى نفسى فى أبيات أخرى لم يتعرض لها الرواة ، ولم يذكروا أنها تنسب إلى غير قيس من الشعراء . فإن لم يكن الأمر كذلك ، كان ذلك دليلا على شىء من الضعف فى مقدرة قيس الشعرية .

* * *

ويخرج قارئ أخبار قيس بن ذريح فى الأغانى بأنه شدا بالشعر فى كل ما وقع له من أحداث ، وأنه كان أكثر ما كان شدوا وأغزره فى أيام ثلاثة معينة : اليوم السابق على رحيل لبنى بعد أن طلقها ، ويوم رحيلها ، واليوم بعده.

يروى أبو الفرج أن قيسا رأى ركب أبى لبنى ، وقد قدم ليرحل بها فى الغد . فلما أدرك ذلك قيس قال :

وإنى لمفن دمع عينى بالبـكا حذار الذى قد كان أو هو كائن

وقال أيضا :

يقولون لبنى فتنة كنت قبلها بخير ، فلا تندم عليها وطـلق

وسقط غراب قريبا منه فجعل ينعق مرارا . فتطير منه وقال :

لقد نادى الغراب ببين لبنى فطار القلب من حذر الغـراب

وأراد أن يلم بها فمنعه قومه فقال :

ألا يا غراب البين ويحك نبنى بعلمك فى لبنى وأنت خبـير

هذا يوم .

وفى اليوم الثانى رآها تدخل هودجها ، وترحل باكية ، فتبعها وهو يقول :

ألا يا غراب البين هل أنت مخبرى بخير كما خبرت بالنأى والشر

ثم عاد وأخذ يقبل آثارها فى التراب ، ويقول :

وما أحببت أرضكم ولـكن أقبل إثر من وطئ الترابـا

ثم أقلع عن هذا وأخذ ينظر إلى الآثار ، ويقول :

ألا يا ربع لبنى ما تقول أبن لى اليوم ما فعل الحلول

وجعل يعاتب نفسه ويقول :

ويلى وعولى ومالى حين تفلتنى من بعد ما أحرزت كفى بها الظفرا

وقال أيضا :

بانت لبينى فأنت اليوم متبول والرأى عندك بعد الحزم مخبول

وقال :

ألا ليت لبنى فى خلاء تزورنى فأشكو إليها لوعتى ثم ترجع

فلما جن عليه الليل وانفرد وأوى إلى مضجعه ، لم يأخذه القرار ، وجعل يتململ . ثم وثب حتى أتى موضع خبائها ، فجعل يتمرغ فيه ويبكى ويقول :

بت والهم يا لبينى ضجيعى وجرت مذ نأيت عنى دموعى

وقال فى ليلته تلك :

قد قلت للقلب لا لبناك فاعترف واقض اللبانة ما قضيت وانصرف

وانقضى يوم ثان .

وفى صباح اليوم الثالث ، خرج قيس متوجها نحو الطريق الذى سلكته يتنسم روائحها . فسنحت له ظبية فقصدها فهربت منه . فقال :

ألا يا شبه لبنى لا تراعى ولا تتيممى قـلل القلاع

وبالرغم أننا ندرك تمام الإدراك أن يوم الفراق كان يوما حاسما فى حياة قيس ، فإننا لا نستطيع أن نتفق مع أبى الفرج فى أن قيسا قال كل هذه المقطوعات فى هذه الأيام الثلاثة . فما نسبه إليه فيها يكاد يبلغ ثلث ما ينسب إلى قيس من شعر ، ولعله أكثر من الثلث . فكأنما قضى قيس أيامه الثلاثة مشغولا بالشعر ، لا يفرغ من مقطوعة حتى ينتقل إلى أخرى . وذلك أمر مستبعد فى مثل حالته .

كذلك أستبعد أن يصدر من قيس يوم الفراق تلك الأمنية أن تزوره لبنى فى خلاء ليشكو لها لوعته ، ثم ترجع إلى أهلها ، وبقية المقطوعة . ولست أريد أن ما تضمه هذه الأشعار من أفكار ، أو ما تحتوى عليه من ألفاظ ، يبعد بينها وبين قيس ، بل هى تتفق معه كل الاتفاق ولكنى أرى أنها قيلت فى أيام متباعدة .

* * *

وتدل الأخبار التى تروى عن قيس على أنه مدح معاوية بن أبى سفيان أو ابنه يزيد . ويبدو أن قصيدة المدح هذه لم تكن على شىء من الامتياز ، ولم تتحل بما يغرى الرواة على الاحتفاظ بها . ولكن أخباره احتفظت بالأبيات التى نظمها فى مدح ابن أبى عتيق . وهى فى الحقيقة شكر ودعاء من أجل اليد التى قدمها له . ولا شك أن الشك الذى يحوط خبر ابن أبى عتيق ينسحب على المقطوعة نفسها .

ونسب أبو الفرج إلى قيس مقطوعة من ثلاثة أبيات ، لست أستطيع القطع بما كان يريد منها . وهى :

أنبئت أن لخالى هجمة حبسا　　كأنهن بجنب المشعر النصـــل

وربما كانت عتاباً أو هجاء لخاله عمرو بن سنة ، الذى يقال أنه وجهها إليه ، لأمر من الأمور .

ولم يرو أحد من الإخباريين أن قيسا قال شعرا آخر فى غير الغزل . ولذلك أعتقد أن لنا الحق أن نقول إن قيس بن ذريح أخلص للغزل ، فلم ينشد شعرا فى غيره . فما نسب إليه من مديح قد ضاع ، إلى جانب أنه مديح فرضه عليه الحب نفسه .

ويجمع المؤرخون لقيس على أنه قال الشعر فى لبنى بعد أن أحبها مباشرة ، وقبل أن يتزوجها . ولكنهم لا يضعون أيدينا على أية قطعة شعرية قالها فى ذلك الوقت . وليس فيما بين أيدينا من شعر أية قرينة تبين ما قيل فى ذلك الطور من حبه ، بل يدل أكثر الدلائل والأخبار على أنه شعر ما بعد الفراق .

كذلك قيل إن قيسا ولبنى عاشا زوجين قريبا من عشر سنوات قبل أن يتفرقا بالطلاق ، نعما فى بعضها برغد العيش والحب ، وشقيا فى بعضها بدس الأم والأب ، وتعسا فى آخرها بأعمال الوالدين . ولكن مقطوعة واحدة تصور لنا هذه المراحل المختلفة من حياة العاشقين الزوجية لم تصل إلينا .

وإذن فكل ما وصل إلينا من شعر قيس قاله بعد الطلاق .

وذلك هو الشعر الذى ندرسه .

ولما كان من الخطأ المنهجى أن ندرس الشعر المشترك بين قيس وغيره ، فربما كانت نسبته إلى قيس خاطئة ، فيؤدى بنا ذلك إلى أن نعزو إليه ما لم يصدر عنه ؛ كان واجبا علينا أن نقسم ما وصل إلينا من شعر إلى قسمين : قسم انفرد به قيس ولم ينسب إلى أحد سواه ، وقسم نسب إليه وإلى غيره .

فإذا نظرنا إلى القسم الأول ، رأينا أنفسنا بإزاء لونين متمايزين من الشعر : شعر فاضت به أحداث الحياة على لسان الشاعر ، وشعر فى البكاء على الحبيب المفارق دون أن يرتبط بحادث معين ، أو إن شئت الدقة قلت شعر لم يرتفع عن مستوى الحادث الذى ألهمه وارتبط به ارتباطا ظاهرا ، وشعر ارتفع فعالج حياة الشاعر كلها لا الحدث وحده . ومن الطبيعى أن هذه القسمة خطرة ، والخطأ فيها وشيك ، فربما كانت الأبيات التى وصلت إلينا ووضعناها فى اللون الأول ، وصلت إلينا مبتورة من قصيدة كبيرة ارتفعت عن الحادث الذى ألهمها ، وإنما وصل إلينا منها ما وصل لارتباطه بالحادث . ذلك حق . ولكن دراستنا الراهنة كلها جزئية ، لأنها تعالج الشعر الذى وصل إلينا ، وتعترف بأنه ربما وجد شعر آخر يغير من نظرتنا بعض التغيير .

واللون الأول من الشعر المرتبط بأحداث حياة الشاعر أقل من الشعر الثانى فى العدد . ويلاحظ الدارس فيه أمرا غريبا ، هو ارتباط ثلاث قطع منه بالغراب والطيرة . يصيح الغراب ، فيتطير الشاعر ، ويرى فى ذلك إيذانا بالفراق ، فيدعو عليه بالتعاسة والموت والوقوع ، فإنه مولع بتفريق الأحبة . وليس قيس بدعا فى هذه الفكرة ، أو الصور التى رسمها للغراب ، بل هى

صور متوارثة بين شعراء العربية عامة والغزلين خاصة . ولكن قيسا فيما يبدو ارتبط اسمه بالغراب ارتباطا خاصا بحيث كثرت القصص الطريفة عنه . وقد نورد بعضها بعد .

ويستأثر يوم الفراق بقطعتين ، يصدر فى القصيرة منهما صرخة ملتاعة ، ويذكر فى الطويلة ذكرياته معها ، ويصف قلبه الذى استولت عليه ، وعقله الذى خبلته ، وجسمه الذى أنهكته ، ويتمنى أن تعود أيامه معها ، فقد كان هذا الفراق بأمر والده لا برضاه .

ويردد ذكر مرضه فى مقطوعتين ، وقد عاده نسوة فتمنى لو كانت هى العائدة ، ويصرح لها أن داءه منها ، وأنه لا زال يبكى حسرة عليها ، بينا هى لا تسأل عنه ، وإنه لميت غدا .

ثم تأتى قطع تتعلق بتطليقه إياها ، وإعراضها عنه عندما رأته فى منى ، وعدم رضاه بالتزوج من غيرها ، وهدر السلطان دمه ، وبكائه عليها بعدموتها .

وكلما التصقت الأشعار بالحادث الذى أثمرها ، ظهرت عليه شخصية قيس واضحة ، فإن بعدت عن الحادث اشتبهت بما أصدره غيره من العشاق . ولكن يجب الإشارة إلى فكرة ترددت كثيرا عند قيس فى هذا الشعر الضيق الأفق وفى الشعر الواسع . فكثيرا ما كان يذكر أنه يرضيه منها أن الجو يجمع بينهما ، وأن الشمس تطلع عليهما ، وأن الأرض تقلهما ، والسماء تظلهما ، وأن أرواحهما تلتقى بالليل ، وأنهما يقيلان بالنهار . فهو راض بهذه الأمور المشتركة بينهما ، وإن فرق بينهما المكان .

ومجمل القول فى اللون الثانى من الشعر أنه يجمل أحداث حياتهما معا : من زواج وطلاق ، وسعادة وشقاء . فتعالج كل قصيدة هذه الأمور مع اختلاف فى العرض ، وفى التفاصيل . فهو حينا يحمل على الوشاة ، ومرة يقسو على أبيه ، وأخرى يعنف لبنى نفسها ، وكثيرا ما كان يلقى بغضبه على نفسه . ولا نجد فى هذا اللون من الشعر كبير خلاف بينه وبين بقية العذريين ، غير أنه هو الذى تركها أو أن أباه كان سبب الشقاء . فهو مثلهم ذاهب العقل ، فاقد القلب ،

يحب من لا يحبه ، يحاول أن يفيق فلا يستطيع ، مثله فى ذلك مثل العشاق قبله ، فلن يستطيع نسيانها ، ولن يكف عن البكاء ، ولن يفشى سرها . ويصور ليله ونهاره وقد هده المرض ، وحار فيه الأطباء ، وعجزت الرقى ، فليته يلقى الموت ، ففيه الخلاص .

ولا شك أن بعض الصور الجزئية ينفرد بها قيس عن زملائه ، ولكنها صور ضئيلة قليلة غير ذات غناء . وأمثل لها بهذه الصورة التى أخذها قيس من الحروب ، يصف فيها حاله بعد الفراق :

فصرت وشيخى كالذى عثرت به — غداة الوغى بين العداة كميت
فقامت ، ولم تضرر هناك ، سوية — وفارسها تحت السنــابك ميت

فهى صورة فريدة عنده ، ولكن أمثالها لا تتكرر .

وبالرغم من وفرة الشعر الذى عثرنا عليه من قيس ، لا نخرج بصورة واضحة للبنى منه . فهو لم يتعرض لوصفها غير ثلاث مرات ، ولكنه وصفها فيها وصفا مجملا قاصرا . قال :

لقد كان فيها للأمانة موضع — وللقب مرتاد ، وللعين منظر
وللحائم العطشان رى بريقها — وللمرح المختال خمر ومسكر

وقال :

يا أكمل الناس من قرن إلى قـدم — وأحسن الناس ذا ثوب وعريانــا
نعم الضجيع بعيــد النوم تجابــه — إليــك ممتلئــا نوما ويقظانــا
وما أرى مثلكم فى الناس من بشر — فقد رأيت بــه حيــا ونســوانا

وقال عن منزلها :

ربعــا لواضحــة الجبين غريرة — كالشمس إذ طلعت ، رخيم المنطق

ومعظمها صفات عامة ، لا تحدد شيئا خاصا منها ، سوى وضوح الجبين ورخامة الصوت .

كذلك لا نخرج من الشعر بصورة محددة : عامة أو خاصة لقيس الإنسان ، وإنما كل ما نخرج به صورة قيس العاشق الوفى ، الذى اضطر إلى فراق حبيبه ،

فعانى الأهوال . وهى صورة مشتركة بين العشاق العذريين ، لا يميز قيسا فيها غير بعض التفاصيل الخاصة المتصلة بحياته .

وإذا تركنا الشعر الذى انفرد به إلى الشعر المشترك بينه وبين غيره ، لم نجد فيه ما يغير من الصورة السابقة شيئا . قد تضاف بعض التفاصيل ، ولكن الصورة العامة واحدة . فهو وفى لها ، يحبها حب العطشان للماء البارد ، تعلق بها قبل أن يخلقا ، ونما حبه بنموهما بعد الخلق ، ومن يعيبها إنما يحببها إليه . وقد فارقته ، فرأى كل شىء حوله يبكيها . وأراد الصبر عنها فعجز ، على الرغم أنه عارف أنه ليس أول من غاب حبيبه ، وأن الحب عبرة بعد عبرة ، فحزنه لا يماثله حزن العشاق قبله ولا حزن من أضل ركابه ، ولوعته أحر من عطش الطير الحائمة حول الماء ، ولكن المانعين يمنعونها . وقد جرب القرب والبعد ، فلم ينفعه أحدهما . ولكنه يتمنى أن يعار جناح طائر ليطير إليها ، وينام فى غير أوان النوم لعل الأحلام تجمع بينهما .

وطبيعى أن يجد المرء بعض الصور الجزئية التى لم يجدها فى الألوان السابقة من الشعر ، وربما كانت له ، وربما كانت لغيره . ولكن الأمر الذى يلفت النظر أن هذا القسم من الشعر يجد فيه القارئ مقطوعات تسودها المبالغة السخيفة التى لم نر مثالها فى الأقسام السابقة . فتلك المقطوعة التى تذكر أنه أحبها قبل أن يخلق ، وأن حباب الماء يخدش جلدها ، وأن الحرير يثقلها ، والعقد يبهظها ، ونظراته تجرحها (٢١) ، بعيدة فى ظنى كل البعد عن العصر الأموى .

كذلك يلفت النظر فى هذا القسم تلك الأبيات التى تحاول أن تصور أجزاء من جسد لبنى :

إذا ما مشت شبرا من الأرض أرجفت   من البهر حتى ما تزيد على شبر

لها كفل يرتج منها إذا مشت   ومتن كغصن البان مضطمر الخصر

هى صورة مألوفة فى الشعر العربى ، ولكننا لم نر ما ينحو نحوها فى شعر قيس الذى انفرد به . ولذلك أعتقد أن لنا الحق فى الشك فى هذا القسم الشعره

مخافة أن يكون قد تسرب إليه أشعار ليست لقيس ، بل ليست للعذريين ، ولا للأمويين جميعا .

وإذا كنا وجدنا فى أفكار قيس بن ذريح ومعانيه بعض الأشياء القليلة التى تميز بينه وبين غيره من العذريين الأمويين ، فإننا لا نجد فى عبارته شيئا ما يميزها. فهو مثلهم صاحب ألفاظ سهلة ، وعبارات عذبة ، وأنغام حلوة ، تغلف مشاعر صادقة ، وانفعالات حارة . ولذلك عنى به المغنون وأخذوا منه عدة ألحان ، شأنهم مع بقية العذريين . ولكن شعره يعدم القوة فى أفكاره ، والحدة فى انفعالاته ، بل لا يبلغ فى الجزالة مبلغ جميل غير القصيدة الأولى ، التى تختلف عن بقية شعره كله . والحق أن شعر العذريين جميعا تلقائى ، يتسم بالصدق والحرارة والبساطة والتعبير المباشر عما يجد الشاعر . ولم يكن أحدهم يعكف على نفسه ليستخرج أحسن ما عندها ، أو يجهد ذهنه ليبلغ أغواره ، أو يستبطن مشاعره ليبرزها فى صورة كاملة خالدة : وإنما كانوا جميعا يكتفون بأيسر ما يصلون إليه . فإذا كان شعرهم قد عاش فلما يحمله من مشاعر إنسانية لا لما يبرزه من فنية . وإذا كان جميل قد حاول أن يرسم فى شعره بعض المواقف بينه وبين بثينة ، وأبقى على ما دار بينهما من حوار على نحو ساذج ، فإن قيسا لم يفعل شيئا من ذلك ، ولم يحاوله .

* * *

وقد لقى شعر قيس بن ذريح إعجاب بعض الرواة والنقاد . فكان ثعلب يستحسن قصيدته العينية (٤٠) ، وأبو الفرج قصيدته (٣٨) ، وابن خلكان أبياته (٤٥) . وقال عنه الذهبى فى سير أعلام النبلاء : « ونظمه فى الذروة العليا رقة وحلاوة وجزالة » . ولكن المعجب الحق بشعره أبو السائب المخزومى ، الذى تروى الأخبار الطريفة الكثيرة عنه وعن شعر قيس . وقد ذكرت بعض هذه الأخبار فى شرح الأشعار . ولكنى أذكر هنا خبرا منها . قال الخليل بن سعيد (١) : « مررت بسوق الطير ، فإذا الناس قد اجتمعوا يركب بعضهم

(١) الأغانى ٩ : ٢١٦ . مصارع العشاق ١ : ١٤٦

بعضا . فاطلعت فاذا أبو السائب المخزومى قائم على غراب يباع ، وقد أخذ بطرف ردائه ، وهو يقول للغراب : يقول لك قيس بن ذريح :

ألا يا غراب البين قد طرت بالذى   أحـــاذر من لبنى فهـــل أنت واقع

لم لا تقع ؟ ويضربه بردائه والغراب يصيح . فقال قائل له : أصلحك الله يا أبا السائب ! ليس هذا ذاك الغراب . فقال : قد علمت ، ولكن آخذ البرىء حتى يقع الجرىء » .

وقد ذكرت أن قصة الغراب هذه لطرافتها تقابت بين عدة أوساط ، واتخذت عدة ألوان ، ولكنها جميعا ترجع إلى الصورة السابقة . قال الشعبى (١) : « مر بى مصعب بن الزبير ، وأنا فى المسجد ، فقال : يا شعبى ، قم ! فقمت ، فوضع يده فى يدى ، وانطلق حتى دخل القصر . فقصرت ، فقال : ادخل يا شعبى ! فدخل حجرة فقصرت . فقال : ادخل يا شعبى . فدخل بيتا فقصرت . فقال : ادخل . فدخلت ، فإذا امرأة فى حجلة ، فقال : أتدرى من هذه ؟ فقلت : نعم ، هذه سيدة نساء المسلمين ، هذه عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ... ثم قال لى : يا شعبى إنها اشتهت علىّ حديثك فحادثها . فخرج وتركها . فجعلت أنشدها وتنشدنى ، وأحدثها وتحدثنى حتى أنشدتها قول قيس ابن ذريح :

ألا يا غراب البين قد طرت بالذى   أحاذر من لبنى فهل أنت واقع ؟

فلقد رأيتها وفى يدها غراب تنتف ريشه وتضربه بقضيب ، وتقول : « يا مشئوم » .

وقال عبد الله بن محمد (٢) : « مررت فى بعض سكك البصرة ، فسمعت استغاثة جارية تضرب . فتيممت الأبواب حتى وقفت على الباب الذى يخرج منه الصوت . فقلت : يا أهل الدار ! أما تتقون الله ؟ علام تضربون جاريتكم ؟ فقيل لى : ادخل . فدخلت ، فإذا امرأة كأن عنقها إبريق فضة ، جالسة على

(١) مصارع العشاق ٢ : ١٤٦
(٢) مصارع العشاق ٢ : ١١٧

منصة ، وبين يديها غراب مشدود ، وفى يدها عصا تضربه بها . فكلما ضربت الغراب صاحت الجارية . فقلت : ما شأن هذا الغراب ؟ فقالت لى : أما سمعت قول قيس بن ذريح حيث يقول :

ألا يا غراب البين قد طرت بالذى   أحاذر من لبنى فهل أنت واقع ؟

ألا وقع كما أمره ؟ فقلت : إن هذا الغراب ليس هو ذاك الغراب . فقالت : نأخذ البرىء بالأثيم حتى نظفر بحاجتنا » .

* * *

وأخيرا أحب أن أبين أننى سلكت فى إخراج هذا الديوان المنهج الذى سلكته فى إخراج ديوان جميل . فقد رتبت الشعر على القوافى ، مقدما الساكن منها ، فالمرفوع ، فالمجرور ، فالمنصوب ، ومستهلا بالمجرد من كل لون منها فما اقترن بهاء ، فما اقترن بها ، ومراعيا الحروف التى تسبق الروى أيضا عند تماثل الروى . وقدمت بين يدى كل قطعة الظروف التى قيلت فيها ، إن كانت المصادر وضحت ذلك . وصدرت تعليقى على الشعر بذكر المصادر التى استقيته منها وبينت إلى جانب كل مصدر الأبيات التى أوردها ، وجعلتها بين قوسين إلى جانب الجزء والصفحة . وآثرت تقديم الروايات المروية فى كل بيت من الشعر ، إذا كان منسوبا إلى قيس . أما إذا كان منسوبا إلى غيره فتجاهلت الروايات فى غالب الأحيان . ثم فسرت الأبيات التى قد تغمض على غير المتخصص ، لأننى أريد أن أضع هذا الشعر بين يدى القارئ العام لا المتخصص وحده . وأدخلت فى هذا الشرح تفاسير القدماء من العلماء ، ونقودهم ، وأخبارهم التى ذكروها حول البيت . وأشرت إلى الأبيات التى غنى بها المغنون ، والأصوات التى لحنوها فيها معتمدا بطبيعة الحال على كتاب الأغانى لأبى فرج الأصفهانى .

* * *

ويضع هذا الكتاب بين أيدى القراء الديوان الثالث من مجموعة دواوين الغزل العربى ، التى تصدرها مكتبة مصر . فقد صدر من المجموعة ديوان

جميل بثينة ، وديوان مجنون ليلى ، وها هو ديوان قيس بن ذريح يلحق بأخويه .

وندعو الله أن ييسر لنا السبل إلى إخراج ما نريد إخراجه من دواوين ، فى صورة ترضى العالم المتخصص المدقق ، وتسر القارئ العام ، وتكسب غير القارئ الآن .

فإن ما نأمله ونسعى إليه أن نضع بين أبناء العربية المحدثين آثار أجدادهم الأقدمين ، على تنوع ألوانها وفنونها ، ليطلعوا عليها ، ويتعمقوا فهمها ، ويعتزوا بما وصلت إليه . ونحمد الله كل الحمد أن يسر إلى ما يسر إليه .

القاهرة فى { ٢٥ رجب ١٣٧٩ / ٢٤ يناير ١٩٦٠ }

حسين نصار

الشعر

– ١ –

أَضَوءُ سَنا برقٍ بدا لك لَمْعُــهُ	بذى الأَثْلِ من أَجْراعِ بِيشَةَ تَرْقبُ (١)
نعم ، إننى صَبٌّ هناك مــوكَّلٌ	بمن ليس يُدنينى ولا يتقــرَّب
ومن أشتكى منه الجفاء ، وحبُّه	طرائف كانت زَوٌّ من يتحبب (٢)
عفا الله عن أم الوليد أَمَا ترى	مَساقِط حبى كيف بى تتلعَّب (٣)
فَتأْوِى لمن كادت تَفِيظ حياتُه	غداة سمتْ نحوى سوائر تَنْعَب (٤)

المصادر :

ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢٧ : ٤٨٢ . الذهبى : تاريخ الإسلام ٣ : ٦٢ (١، ٢، ٧، ٩، ١٧–٢١) . ولما كانت نسخة دار الكتب من تاريخ دمشق كثيرة التحريف ، فقد رجعت فى تصحيحها للنسخة المحفوظة بمعهد المخطوطات العربية من جامعة الدول العربية ، تحت رقم ١٢٥ تاريخ ، والنسخة المحفوظة بالمكتبة الظاهرية بدمشق ، والنسخة المحفوظة بمكتبة الأزهر .

الشرح :

(١) بيشة : كذا فى النسختين الأزهرية والظاهرية ، وفى نسختى دار الكتب وجامعة الدول العربية : بثنة . وذو الأثل : موضع من ودان ، بين مكة والمدينة ، قريب من الجحفة . والأجراع : جمع جرع ، وهو الرملة المستوية التى لا تنبت شيئا . وبيشة : قرية غناء فى واد كثير الأهل من بلاد اليمن على خمس مراحل من مكة .

(٢) فى نسختى الجامعة والظاهرية : يتجنب . وفى جميع النسخ : كانت دون ، ولعلها محرفة عن : كانت زو . والزو : الهلاك .

(٣) فى نسخة الجامعة : مشاقط ، وفى بقية النسخ : مشايط ، ولعلها محرفة عن : مساقط ، بمعنى مواقع ، يريد : أما ترى مواقع حبى كيف تتجاذبنى .

(٤) فى نسخة الجامعة تفيض حياته . وفى نسختى دار الكتب والجامعة : =

ومن سقمي من نية الحبِّ كلما أتى راكب من نحو أرضك يَضْرب (١)
مرضتُ فجاءُوا بالمُعالِج والرُّقَى وقالوا : بصير بالدوا مُتَطبِّب (٢)
أتاني فداواني وطال اختــلافه إليّ فأعيــاه الرقى والتطبُّب
ولم يُغْنِ عني ما يُعقِّــد طائلا ولا ما يُمنِّيني الطبيبُ المجــرِّب (٣)
ولا نُشُرَاتٌ بات يغسلني بهــا إذا ما بدا لي الكوكبُ المتصوِّب (٤)
وبانُوا وقد زالت بلُبناك جَسْرةٌ سَبوحٌ ومَوَّارُ المِلَاطَيْن أَصْهب (٥)

= سرائر . وفى الظاهرية : سوائد . وفى دار الكتب : تتعب . وتفيظ حياته : يموت . وتنعب : تسرع .

(١) فى نسخة الظاهرية : تيه الحب . وربما كانت محرفة عن : فتنة . النية : البعد . والحب : الحبيب .

(٢) الذهبي ونسخة الجامعة : بصير بالدواء مجرب . وفى الظاهرية : بالدواء مطيب .

(٣) يعقد : يريد ما يفعله الراقى ، قال مرقش السدوسى أو خزز بن لوذان :

لا يمنعك من بغــا ء الخــير تعقاد التمائم

(اللسان : عقد) .

(٤) فى نسخة الجامعة : ولا بشربات يغسلنى ، وفى بقية النسخ : ولا بشراب بات يغسلنى . والنشرات : جمع نشرة ، وهى رقية يعالج بها المجنون والمريض ومن يظن أن به مسا من الجن ، ويبدو أنه كان يصحب العلاج بها نوع من الغسل، يشبه ما كان يصحب العلاج من الحسد والعين ، كما قال بعضهم :

وقــد عالجوه بالتمائم والرقى وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا أصابته من الجن أعــين ولو عاملوا داووه من أعين الإنس

وانظر آكام المرجان ١١٧ ، واللسان : غسل) . والمتصوب : المنحدر الهابط .

(٥) فى نسختى دار الكتب والجامعة : شيوخ وموار العلاطين . وبانوا : فارقوا . والجسرة : الناقة الطويلة الضخمة . والسبوح : السريعة . والموار : المتحرك المتردد جيئة وذهابا ، يصف جملا . والملاط : العضد والمرفق . وموار العلاطين : كناية عن النشاط فى السير . والأصهب : الذى يخالط بياضه حمرة .

تظن من الظن المكذِّب أنـــه ... وراكبه دارا بمـــكة يطــلب(١)

فلا والذى مَسَّحتُ أركان بيته ... أطوف به فيمن يطوف ويَحْصِب(٢)

نسيتُك ما أرْسَى ثَبيرٌ مكانَــه ... وما دام جارا للحَجُون المحَصَّب(٣)

وما سجعتْ ورقاءُ تهتف بالضحى ... تُصعِّد فى أفنانهــا وتُصــوِّب(٤)

وما أمطرتْ يوما بنجــد سحابةٌ ... وما اخضر بالأجراع طَلْحٌ وتَنْضُب(٥)

وقال أُناسٌ ، والظنونُ كثيرة ... وأعلمُ شيءٍ بالهـوى من يُجرب

ألَا إن فى اليأْس المفرِّق راحــةً ... سيُسليْك عمن نفعُه عنك يَعزُب(٦)

فكل الذى قالوا بَلَوْتُ فلم أجد ... لذى الشَّجْو أشْفَى من هوى حين يَقْرُب(٧)

عليها سلام الله ما هبّتِ الصَّبا ... وما لاح وهْنا فى دُجَى الليل كوكب(٨)

فلستُ بمُبتاعٍ وصــالا بوصلها ... ولست بمُفشٍ سرَّها حين أغضب

---

(١) نسختى الظاهرية والأزهر : الظن المقدر .

(٢) يحصب : يرمى بالحصباء والحصى فى الحج .

(٣) نسيتك : أى لا نسيتك ، وحذف لا قياسى هنا . وثبير : جبل بين مكة وعرفة ، ويريد بقوله : ما أرسى ثبير وما بعدها : لا نسيتك أبدا . والحجون : جبل بأعلى مكة . والمحصب : موضع رمى الجمار فى الحج بين مكة ومنى ، وحده من الحجون ذاهبا إلى منى .

(٤) سجعت : كذا فى نسخة الجامعة . وفى بقية النسخ : سمعت . وسجعت : صوتت . والورقاء : الحمامة التى يضرب لونها إلى الخضرة . والأفنان : الغصون. وتصوب : تهبط .

(٥) الطلح : شجر من العضاه . والتنضب : شجر عيدانه بيض ضخمة له شوك قصار .

(٦) يعزب : يبعد . (٧) باوت : اختبرت .

(٨) وهنا : عند منتصف الليل أو بعد ساعة منه .

٢

وما هو إلا أنْ أراها فُجــاءةً   فأُبْهَت حــتى ما أكاد أُجــيبُ

المصادر :

الجرجاني : الوساطة ٣٠٦ . العكبرى : التبيان ٤ : ١٩٥

ونسب غير المتقدمين من الرواة البيت إلى شعراء مختلفين ، ولكن أكثرهم يتفقون على أنه لعروة بن حزام . نسبه إليه أبو الفرج : الأغانى ٢٠ : ١٥٦ ، والبصرى : الحماسة البصرية ١٩٠ ، والحصرى : زهر الآداب ٩٤٩ ، والسراج : مصارع العشاق ١ : ٣١٨ ، والأنطاكى : تزيين الأسواق ٧٤ ، والبغدادى : خزانة الأدب ١ : ٥٣٤ ، ٥٣٦ ، ٣ : ٦١٦ . ونسبه الحاتمى (سمط اللآلى ٤٠٠) والعينى : المقاصد النحوية ١ : ٣٥٦ إلى كثير عزة . ونسبه القالى إلى مجنون بنى عامر (سمط اللآلى ٤٠٠) وانظر ديوان مجنون ليلى ٥٩ . ولكن أكثر الرواة رجح أن البيت لعروة بن حزام .

وقد لخص البغدادى : الخزانة ١ : ٥٣٤ ، ٣ : ٦١٦ هذا الاختلاف ، فقال : « البيت من قصيدة لعروة بن حزام العذرى ، وقبله ، وهو مطلع القصيدة :

وإنى لتعرونى لذكراك روعة   لها بين جلدى والعظام دبيب

وقد وقع البيت الشاهد مع بيتين آخرين من القصيدة فى قصيدة لكثير عزة ، أورد ستة أبيات منها فى حماسته [١٥٣] الشريف ضياء الدين هبة الله على بن محمد بن حمزة الحسينى ، وهى :

أبى القلب إلا أم عمرو وبغضت   إلى نســاء ما لهن ذنــوب

وقد وقع البيت الشاهد بقافية رائية فى قصيدة لأبى صخر الهذلى ، منها :

وإنى لآتيهــا أريد عتابهــا   وأوعدها بالهجر ما برق الفجر
فما هو إلا أن أراها فجــاءة   فأبهت لا عرف لدى ولا نكر

الشرح :

ذكر الجرجانى والعكبرى أن البيت يماثل فى المعنى قول مجنون ليلى :

فما الحب حتى يلصق الجلد بالحشا   وتخرس حتى لا تجيب المناديا =

٣

حلفتُ لها بالمَشْعَرَيْنِ وزمْــزمٍ   وذوالعرشِ فوق المُقْسِمِين رقيبُ (١)

= والشطر الأول من قول المتنبي :

الحب ما منع الكلام الألسنا   وألذ شكوى عاشق ما أعلنا

ورواية العكبرى : لا أكاد . وقال البغدادى : الخزانة ٣ : ٦١٥ ، ٦١٦ : « يروى بنصب « أبهت » ورفعه على القطع ، أى فأنا أبهت . قال سيبويه : وسألت الخليل رحمه الله عن قول الشاعر : * وما هو إلا أن أراها فجاءة * البيت . فقال : أنت فى « أبهت » بالخيار : إن شئت حملتها على أن ، وإن شئت لم تحملها عليه فرفعت ، كأنك قلت : ما هو إلا الرأى فأبهت ... وأراها بفتح الهمزة من رؤية العين تتعدى إلى مفعول واحد ، وهو ضمير الحبيبة . ورأيته فى بعض النسخ بضم الهمزة ، على أنه من « أرى » المتعدى بالهمزة إلى مفعول ثان . فيكون المفعول الأول نائب الفاعل ، وهو ضمير المتكلم ، والثانى ضمير الحبيبة». وأبهت : أدهش .

* * *

المصادر :

المبرد : الكامل ٣٧٨ . البغدادى : الخزانة ١ : ٥٣٣ ، ٥٣٦ . العينى : المقاصد النحوية ٣ : ١٥٦ . الجرجاوى : شرح الشواهد ١١٢ . العدوى : شرح الشواهد ١٢٠ .

المرجح أن البيتين من مقطوعة كانت تضم البيت السابق ، ولذلك نجدهما فى معظم المصادر المذكورفيها ، وينطبق عليهما الاختلاف نفسه . فقد نسبهما المبرد ظنا إلى قيس بن ذريح ، والعينى إلى كثير عزة ، والبكرى (سمط اللآلى ٤٠٠) وابن طولون : بسط سامع المسامر ٨٣ إلى مجنون ليلى . وانظر ديوانه ٥٩ . وعزاهما أبو الفرج : الأغانى ٢٠ : ١٥٦ ، والبصرى : الحماسة البصرية ١٩٠ إلى عروة بن حزام ، وصحح البغدادى هذه النسبة .

قال المبرد : « وقال آخر ، وأحسبه قيس بن ذريح... » . وقال البغدادى :=

لئِنْ كان بَرْدُ الماء حَـرَّانَ صاديًا   إلَيَّ حبيبا ، إنهـا لَحبيبُ (١)

= « ضمير « إنها » لعفراء بنت عم عروة بن حزام . والبيتان له من قصيدة أولها :

وإني لتعروني لذكراك روعة   لها بين جلدي والعظام دبيب

... نسب المبرد في الكامل بيت الشاهد إلى قيس بن ذريح ... ونسبه العيني إلى كثير عزة ، وقال : هو من قصيدة أولها :

أبى القلب إلا أم عمرو وبغضت   إلى نسـاء ما لهن ذنـوب

حلفت لهـا بالمأزمين وزمزم   ولله فوق الحـالفين رقيب

... والصحيح ما قد مناه » .

الشرح :

(١) العيني والجرجاوي : هيمان صاديا . وقال أبو الحسن الأخفش في تعليقاته على الكامل : « ويروى : والله فوق المقسمين . وهو أحب إلى » . والمشعر : المنسك من مناسك الحج . والمشعران : عرفة والمزدلفة .

(٢) صاد : عطشان . وقال البغدادي في البيت : « الماء البارد أحب إلى الإنسان عند عطشه وحرارته من كل شيء . وهذا المعنى هو المتداول الشائع . قال المبرد في الكامل : هو معنى صحيح ، وقد اعتوره الحكماء ، وكلهم أجاد فيه . ومثل بيت الشاهد قول عمر بن أبي ربيعة :

قلت وجدي بها كوجدك بالمـا   ء إذا ما منعت برد الشـراب

فإن قوله : إذا ما منعت برد الشراب ، يفيد ما أفاده قوله : إلى حران صاديا ، فإنه يريد وقت الحاجة إليه ، وبذلك صح المعنى . ومثله قول القطامي :

فهن ينبذن من قول يصبن به   مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

ينبذن : يرمين به ويتكلمن . ويروى عن علي رضي الله عنه أن سائلا سأله فقال : كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ، ومن الماء البارد على الظمأ . والقول فيه كثير » .

٤

بعثتْ أمُّ قيس بفتيات من قومه إليه ، يَعِبْنَ إليه لُبْنَى ، ويَعِبْنَهُ بجَزعه وبكائه ، ويتعرَّضْن لوصاله . فأَتَيْنَه فاجتمعْنَ حوالَيْه ، وجعلن يمازِحْنه ويَعِبْنَ لبنى عنده ، ويعيِّرْنَه ما يفعله . فلما أطلْنَ أقبل عليهنَّ وقال :

يقَرُّ بعينى قربُهــا ويَزِيدُنى ... بها كَلفا مَنْ كان عندى يَعِيبُها(١)

وكم قائلٍ قد قال : تُبْ ، فعصَيْتُه ... وتلك لعَمْرى توبــةٌ لا أتوبهــا(٢)

فيا نفسُ صبرًا لستِ والله فاعلمى ... بأَوّلِ نفسٍ غاب عنهــا حبيبها

فانصرفن عنه إلى أمه فأَيأَسْنها من سَلْوته .

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٩٣ . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٤٧

ونسبها إلى مجنون ليلى القالى : الأمالى ٢ : ١٢٧ ، والبصرى : الحماسة البصرية ١٧٦ (١ ، ٢) ، والأصفهانى : الزهرة ٣٢٥ (مع تحريف اسم القائل) وابن طولون : بسط سامع المسامر ٩٠، ٩٣ ، والأنطاكى : تزيين الأسواق ٦١ ، وانظر ديوان المجنون ٦٨

الشرح :

غنى فى هذه الأبيات دحمان ثقيلا أول بالوسطى ، وسليم هزجا بالبنصر ، ونسب حبش اللحن الأخير إلى إسحاق الموصلى .

(١) الأنطاكى : يقر لعينى ... بها عجبا . والكلف : العشق .

(٢) ديوان المجنون : وتلك لعمرى خلة لا أصيبها .

٥

سقط غراب قريبا من قيس ، فجعل ينعق حين رحيل لبنى بعد طلاقها ، فتطير منه قيس وقال .

لقد نادى الغرابُ ببَيْن لُبْنَى   فطار القلب من حَذرِ الغرابِ

وقال : غدًا تَباعَــدُ دارُ لبنى   وتنْــأى بعــد ودٍّ واقتراب(١)

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٨٥ . ابن واصل : تجريد الأغانى ١ : ١٠٦٦ . الأنطاكى : التزيين ٤٧ . السراج : مصارع العشاق ١ : ١٤٧ . ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢٧ : ٤٨٦ . ولم يرد البيت الرابع إلا عند السراج وابن عساكر .

التعليق :

ذكر السراج قصة تدور حول هذه الأبيات وأمثالها ، قال : « إن لبنى أمرت غلاما لها فاشترى لها أربعة غربان . فلما رآتهن بكت وصرخت ، وكتفتهن وجعلت تضربهن بالسوط حتى متن جميعا . وجعلت تقول الأبيات بأعلى صوتها . فدخل زوجها فرآها على تلك الحال . فقال : ما دعاك إلى ما أرى ؟ قالت : دعانى أن ابن عمى وحبيبى قيسا أمرهن بالوقوع فلم يقعن حيث قال :

ألا يا غراب البين قد طرت بالذى   أحاذر من لبنى ، فهل أنت واقع

فآليت ألا أظفر بغراب إلا قتلته . فغضب وقال : لقد هممت بتخلية سبيلك . فقالت : لوددت أنك فعلت وأنى عمياء ! فوالله ما تزوجتك رغبة فيك . ولقد كنت آليت ألا أتزوج بعد قيس أبدا ولكن غلبنى أبى على أمرى » . والقصة ظاهرة الضعف والتخيل .

(١) السراج : فقلت غدا . وابن عساكر : فقال غدا .

فقلت : تَعِسْتَ ويْحك من غراب ‏ ‏ ‏ وكان الدهرَ سعيُك فى تَبَـــاب(١)

لقد أُولعتَ - لا لاقيْتَ خيرا - ‏ ‏ ‏ بتفريق المحـب عن الحُباب(٢)

٦

قال قيس بعد طلاق لبـــنى ورحيلها :

أيا كبدًا طارتْ صُدوعا نوافذا ‏ ‏ ‏ ويا حَسْرتا ماذا تَغَلْغَل فى القلبِ(٣)

(١) السراج وابن عساكر : أكل الدهر . وتباب : نقص وخسارة ، يدعو عليه بألا يثمر له سعيه طوال الدهر إلا الخسارة .

(٢) الحباب : الحبيب .

* * *

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٨٨، ٣٠٧ (- ٦) . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٧٦ (١ - ٦) . ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢٧ : ٤٧٠ (١ - ٨) السيوطى : شرح الشواهد ١٨٣ (١ - ٨) . ثعلب : المجالس ٧٨، ٢٨٦ (١ - ٨) . البصرى : الحماسة البصرية ١٥٢ (٢، ٥، ٦، ٩، ١٠) . المرزوقى : شرح ديوان الحماسة ١٢٥١ (٦) بدون عزو . ابن منظور : اللسان ١ : ٣٠٩ ، ٢ : ٢٧٠، ٣٧١ ، ٨ : ٢١٠ ، ١٥ : ٢١٨ ، ١٨ : ٢٢١ (٢، ٣، ٧، ٨) . الذهبى : تاريخ الإسلام ٣ : ٦٢ (٦) . العمرى : مسالك الأبصار ٩/١/١٤٧(٦) وذكر السيوطى أنه أخذ الخبر والشعر من الأغانى ، ولكن نسخة الأغانى التى بين أيدينا اليوم ينقصها البيتان ٩، ١٠ .

التعليق :

(٣) التجريد : صارت صدوعا . وابن عساكر : يغلغل للقلب .

فَأُقسم ما عُمْشُ العيون شوارفٌ روائمُ بَوٍّ حائماتٌ على سَقْب (١)

تَشَمَّمْنَه لو يستطعن ارتشفْنَــه إذا سُفْنَه يَزْددن نكْبا على نكْب (٢)

رَئِمْنَ فما تَنْحاش منهن شارفٌ وحالَفْنَ حَبْسافى المحُول وفى الجَدْب (٣)

٥ بأَوْجَدَ منى يوم وَلَّتْ حُمــولُها وقد طلعتْ أُولى الرِّكاب من النَّقْب (٤)

وكلُّ مُلِمّات الزمــان وجدتُها سوى فُرقة الأَحباب هينةَ الخَطْب (٥)

إذا افْتَلَتَتْ منك النَّوَى ذا مودة حبيبا ،بتَصْداعٍ من البَيْن ذى شَعْب (٦)

---

(١) ثعلب : خوص العيون .. روائم أظآر عكفن على سقب . السيوطى وابن منظور وابن عساكر والأغانى مرة : حانيات . والخوص : جمع أخوص وخوصاء ، وهى الغائرة العين . والشوارف : جمع شارفة ، وهى المسنة من النوق . والروائم : جمع رائمة ، وهى التى تعطف على الأولاد . والبو : جلد ولد الناقة يحشى تبنا أو ثماما أو حشيشا لتعطف عليه الناقة إذا مات ولدها فتدر . والأظآر : جمع ظئر ، وهى العاطفة على غير ولدها المرضعة له . والسقب : ولد الناقة .

(٢) اللسان مرة : يشممنه . وابن عساكر : تيممنه . والسيوطى : سقنه ، وهى تصحيف . وسفنه : شممنه . والنكب : النكبة والمصيبة .

(٣) السيوطى وابن عساكر : ينحاش . والمحول : الجدب .

(٤) ثعلب مرة : بأوجل منى يوم ولت حمولهم . والتجريد : على النقب . وأوجد : من الوجد ، وهو الحزن . وأوجل : أعظم خوفا . والنقب : الطريق ، أو الطريق الضيق فى الجبل .

(٥) المرزوقى والأغانى مرة : مصيبات الزمان . والسيوطى : ملمات الدهور . وقال اسحاق بن الفضل الهاشمى عن هذا البيت : « لم يقل الناس فى هذا المعنى مثل قول قيس بن ذريح » .

(٦) افتلتت : أخذت فى سرعة . والنوى : الفرقة والرحلة . والتصداع : التفرق ، وكذا الشعب .

أذاقتْك مُرَّ العيش أو متّ حسرة ... كمامات مَسْقِيُّ الضَّياح ِ على أَلْب (١)

وقلتُ لقلبى حين لجّ بىَ الهوى ... وكلفنى ما لا يُطيق من الحب

١٠ ألا أيها القلب الذى قاده الهوى ... أَفِقْ ، لا أَقَرَّ اللهُ عينك من قلب

٧

حدث عبد الملك بن عبد العزيز قال : أنشدنى أبو السائب ، وهو معتمد على يدى ، ونحن نريد قُباء :

نُباحُ كلبٍ بأعلى الوادِ من سَرِفٍ ... أشهى إلى النفس من تأذين أيوبِ (٢)

فقلت : من قال هذا الشعر ؟ قال : قيس بن ذريح .

(١) اللسان مرة : على الألب . وورد الشطر الأول فيه أيضا بالرواية التالية : وحل بقلبى من جوى الحب ميتة . والضياح : اللبن الخاثر يصب فيه الماء ثم يجدح أى يقلب . وعلى ألب : قال ثعلب بصددها : يقال ألب ويألب (بفتح اللام وكسرها) : إذا اجتمع . وقال ابن منظور معلقا : لم يفسره ثعلب إلا بقوله ألب يألب إذا اجتمع . وإذن فالغموض فى البيت قديم . ولكن للألب معانى تقرب مما يريد الشاعر ، مثل العطش ، والسم ، وشدة الحمى والحر ، فلعله يريد أنه شرب الضياح على العطش ، أو مع شدة الحر ، أو مخلوطا بالسم .

• • •

المصادر :

المرزبانى : الموشح ٢٠٦

التعليق :

(٢) الواد : الوادى ، اكتفوا بالكسرة عن الياء ، وقال ابن سيده : حذف لأن الحرف لما ضعف عن تحمل الحركة الزائدة عليه ولم يقدر أن يتحامل بنفسه دعا إلى اخترامه وحذفه . وسرف : موضع على ستة أميال من مكة .

٨

أَمَسُّ ترابَ أرضِكِ يا لُبَيْنى ولولا أنت لم أَمْسَسْ تـرابا

٩

لما ارتحلت لبنى مع قومها اتبعها قيس مدة ، ثم وقف ينظر إليهم ويبكى حتى غابوا عن عينه فرجع . ونظر إلى أثر قدم بعيرها فأخذ يقبله. ثم جعل يقبل موضع مجلسها وأثر قدمها . فلامه قومه على ذلك وعنفوه . فقال :

وما أحببتُ أرضَـكمُ ولـكنْ أقبِّـلُ إثْرَ مَنْ وَطِئَ التـرابا(١)

لقـد لاقيتُ من كَلَفِي بلبنى بلاء ما أُسـيغ به الشـرابا(٢)

إذا نادى المنادى باسم لـبنى عَيِيتُ فمـا أطيق لـه جوابا(٣)

فهـذا فِعْلُ شَيْخَيْنا جميعـا أرادا لىَ البليـةَ والعـذابا

المصادر :

ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢٧ : ٤٦٧ . ثعلب : المجالس ٢٨٧ (١) .

* * *

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٨٦ (١ – ٣) . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٦٦ (١ – ٣) . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٤٧ (١ – ٣) . القالى : الأمالى ٢ : ٧٦ (١، ٤) . التنوخى : الفرج بعد الشدة ٢ : ١٨٠ (١، ٢) . ترتيب البيت الرابع ظنى وفقا لأمالى القالى .

التعليق :

(١) رواية البيت فى الأمالى :

فما حبى لطيب تـراب أرض ولكن حب من وطئ الترابا

(٢) الأنطاكى : كلف ... أسيغ له . والتنوخى : ما أسيغ له شرابا .

(٣) الحموى : مناد . والأنطاكى : فلا أطيق : وعييت : عجزت عن الكلام .

التـــــاء

١٠

اجتمع إلى قيس نِسوة فأَطَلْنَ الجلوسَ عنده ومحادثتَه وهو ساهٍ عنهنّ . ثم نادَى : يا لبنى ! . فقلن له : مالكَ وَيْحَكَ ! فقال : خَدِرتْ رجلى ، ويقال : إن دعاء الإنسان باسم أحبِّ الناس إليه يُذْهِب عنه خَدَر الرِّجل ، فناديتُها لذلك . فقمن عنه . وقال :

إذا خدِرتْ رجلى تذكرتُ مَنْ لها ... فناديتُ لبنى باسمِهـا ودعوتُ
دعوتُ التى لو أنَّ نفسى تُطيعنى ... لفارقتُها من حبِّهـا وقَضيتُ(١)
بَرَتْ نَبْلَها للصيد لبنى ورَيَّشَتْ ... ورَيَّشْتُ أخرى مثلُها وبَرَيْتُ(٢)
فلما رمتنى أَقْصدتْنى بسهمهـا ... وأخطأْتُها بالسهـم حين رميتُ(٣)

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٨٠، ١٩٣ . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٤٨ (ما عدا ٧، ٨، ١٠) .

التعليق :

(١) الأنطاكى : فقضيت . وفارقتها : أى نفسى . وقضيت : مت .

(٢) الأنطاكى : لبنى عشية ... ورشت بأخرى . وريشت : أى جعلت الريش على السهام .

(٣) الأنطاكى : أقصدتنى بنبلها . وأقصدتنى : أصابتنى .

٥ وفارقتُ لبنى ضَلَّةً فكأنني … قُرِنت إلى العَيّوق ثم هَوَيْتُ (١)

فيا ليتَ أنى مت قبل فراقها … وهل تَرْجِعَنْ فَوْتَ القضية لَيْتُ (٢)

فصرتُ وشيخى كالذى عثرتْ به … غَداةَ الوَغَى بين العُداةِ كُمَيْتُ (٣)

فقامت ، ولم تُضْرَرْ هناك ، سَوِيّةً … وفارسُها تحت السنابِك مَيْتُ (٤)

فإنْ يك تَهْيامى بلبنى غَوايةً … فقد يا ذَريحَ بن الحُباب غَوَيْتُ

١٠ فلا أنتَ ما أمَّلتَ فىّ رأيتَه … ولا أنا لبنى والحياةَ حَوَيْتُ (٥)

فوَطِّنْ لِهُلْكِي منك نفسا فإننى … كأنك بى قد يا ذريح قَضَيْتُ (٦)

---

(١) العيوق : نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

(٢) الأنطاكى مرة : وهل يرجعن قول المفرط ليت . وأخرى : وهل ينفعن بعد التفرق ليت . وفوت القضية : ما فات من الأمر .

(٣) الوغى : المعركة . والكميت : الفرس الشديدة الحمرة .

(٤) فقامت : أى الفرس . وسوية : سليمة صحيحة .

(٥) حويت : ضممت . يريد أنه فقد الحياة الهانئة ولبنى **معا** .

(٦) الأنطاكى : فوطن لنفس منك هلكا فانى . ورواية **الأغانى** أصوب .

١١

مرض قيس مرضا شديدا أشرف منه على الموت . فدخل إليه أبوه ورجال قومه فكلموه وعاتبوه . فقال : ويْحكم ! أتُرَوْنِي أمرضتُ نفسى أو وجدت لها سلوة بعد اليأْس فاخترتُ الهم والبلاء ؛ أو لى فى ذلك صُنْع ! هذا ما اختاره لى أبواى وقتلانى به . فجعل أبوه يبكى ويدعو له بالفرج والسلوة . فقال قيس :

لقد عذَّبتَنى يا حبَّ ليلى ... فقَعْ إمَّا بموتٍ أو حياةِ(١)
فإن الموت أرْوَحُ من حيــاةٍ ... تدوم على التباعد والشَّتات(٢)
وقال الاقربون : تَعَــزَّ عنهـا ... فقلت لهم : إذن حانت وفاتى(٣)

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ٢٠٦ . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٧٦
السراج : مصارع العشاق ١ : ١٥٨ . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٥٢

التعليق :

(١) السراج والأنطاكى : لقد عنيتنى .
(٢) البيت عند السراج والأنطاكى :
فإن الموت أيسر من حياة ... منغصــة لها طعم الشــتات
وأروح : أعظم راحة .
(٣) الحموى : إذا حانت . والبيت عند السراج :
وقال الآمرون : تعز عنهـا ... فقلت : نعم إذا حانت وفاتى
وعند الأنطاكى :
وقال الآمرون : تعز عنهـا ... فقلت : ولا إذا حانت وفاتى

١٢

قال المدائنى : ماتت لبنى ، وهى منفصلة عن قيس ، فخرج ومعه جماعة من أهله ، حتى وقف على قبرها ، فقال :

ماتت لبينى فموتُهــا مَــوْتِى   هل تَنْفَعَنْ حَسْرة على الفَــوْتِ (١)

وسوف أبكى بكاء مــكتئبٍ   قضى حياةً وَجْــدا على مَيْتِ (٢)

ثم أكبّ على القبر يبكى حتى أُغمى عليه ، ومات بعد ثلاث ، فدُفن إلى جنبها .

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ٢١٩ . البكرى : سمط اللآلى . ٧١ . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١،٨٤ . السيوطى : شرح الشواهد ١٨٤ . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٥١ . الكتبى : فوات الوفيات ٢ : ٢٧٤ . الصفدى : الوافى بالوفيات ١٨٤/٢/٧

الشرح :

(١) السيوطى والأنطاكى : ينفعن . أبو الفرج والحموى والصفدى : حسرتى .

(٢) الكتبى والحموى والسيوطى والصفدى : فسوف . والبكرى والأنطاكى : إنى سأبكى .

الحاء

١٣

قال أبو هلال العسكرى : أجود ما قيل فى خفقان القلب قول قيس ابن ذريح :

كان القلبَ ليلة قيل يغْدَى بليلى العامريةِ أو يُراح

المصادر :

العسكرى : ديوان المعانى ١ : ٢٧٠ . وذهب البكرى : سمط اللآلى ٦٩٦ إلى أن محمد بن يزيد المبرد نسبهما إلى قيس بن ذريح . وما فى الكامل الموجود بين أيدينا قوله : « أحسبه توبة بن الحمير » .

ونسب البيتان إلى شعراء كثيرين . فرواهما الجاحظ دون نسبة فى الحيوان ٥ : ٥٧٧ . واكتفى بعض الرواة بإيراد الأقوال المختلفة ، فقال البكرى : سمط اللآلى ٦٩٦ : « أنشد أبو على لقيس المجنون ... البيتين ع هكذا نسب الأخفش هذا الشعر إلى قيس المجنون . وقال محمد بن يزيد : هو لقيس بن ذريح . وقال أبو تمام : هو لنصيب » . وقال الراغب : محاضرات الأدباء ٢ : ٤٨ : « لتوبة ، وقيل : للمجنون » . وقال البصرى : الحماسة البصرية ١٥٧ : « قيس بن معاذ ، ويروى لنصيب بن رباح ، والأول أكثر » . واتبع شارحا الحماسة : التبريزى ٣ : ١٥١ ، والمرزوقى ١٣١٣ قول أبى تمام فى عزو الشعر إلى نصيب . وعزاه الأصفهانى : الزهرة ١٥٩ إلى توبة بن الحمير ، كالمبرد . كذلك عزاه الخالديان : المختار من شعر بشار ١١ إليه .

ولكن الكثيرين عزوا الشعر إلى مجنون ليلى ، مثل القالى : الأمالى ٢ : ٦١ ، وأبى الفرج : الأغانى ٢ : ٤٨، ٦٢، ٨٩، ٩٢ ، والمرزبانى : الموشح ٢٥٠ ، والذهبى : تاريخ الإسلام ٣ : ٦٧ ، والكتبى : فوات الوفيات ٢ : ٢٧٨ ، وابن طولون : بسط سامع المسامر ٨٩ ، والأنطاكى : تزيين الأسواق ٥٨ ، والعمرى : مسالك الأبصار ١٤١/١٩/ . وانظر ديوانه ٩٠ . والأرجح أن البيتين له بدليل تلقيبه حبيبته بالعامرية .

قطاةً عَـــزَّها شَرَكٌ فبــاتت تجاذبه وقــد علق الجنـــاح (١)

١٤

أنشد أبو بكر بن الأنبارى قال : أنشدنا عبد الله بن خلف لقيس ابن ذريح :

هَبِينِى امرأً إنْ تُحْسِنِى فَهْوَ شاكرٌ لذاك ، وإن لم تحسنى فَهْوَ صافحُ (٢)

الشرح :

قال المبرد عن البيتين : « وقد قال الشعراء قبله وبعده فلم يبلغوا هذا المقدار » وقال العسكرى ما قال . وكانا ينظران فى قولها إلى المبالغة ، ولكننا نعجب بهما اليوم لما فيهما من تصوير .

وقد غنى فيهما ابن المكى خفيف ثقيل أول بالوسطى فى مجراها ، وسليمان أو سليم خفيف ثقيل آخر مطلقا فى مجرى البنصر ، وإبراهيم وأحمد بن يحيى المكى رملا بالوسطى فى مجراها .

(١) المبرد : تعالجه وقد علق الجناح . والقطاة : طائر شبيه بالحمام . وشرح المرزوقى البيتين فقال : « لما أحسست بالليلة التى رسمت بوقوع الفراق صبيحتها أو فى وقت الرواح من غيرها ، وتصورت أن المتواعد به حق ، والمتحدث به واقع ، صار قلبى فى الخفقان والاضطراب كقطاة وقعت فى شرك يحبسها ، فبقيت ليلتها تجاذبه ، والجناح علق لا متخلص له ، نشب لا متنزع منه ، وكمثل ذلك قلبى قلق فى حشاه ، غلق عند بلواه . وعزها : غلبها » .

• • •

المصادر :

القالى : الأمالى ١ : ١٨٧ (١ - ٤) . ديوان مجنون ليلى ٨٩ (١، ٢، ٥، ٦) العمرى : مسالك الأبصار ٩/١/ ١٤٧ (٤) . وترتيب البيتين الأخيرين ظنى .

التعليق :

(٢) فى ديوان المجنون :

هبونى امرأ إن تحسنوا فهو شاكر لذاك وإن لم تحسنوا فهو صافح

وإنْ يكُ أقوامٌ أساءُوا وأهْجَروا فإنّ الذى بينى وبينك صـالحُ
ومهما يكن فالقلبُ يا لُبْنَ ناشرٌ عليك الهوى والجَيْبُ ماعِشْتُ ناصح (١)
وإنكَ من لبنى العشيّةَ رائحٌ مريضُ الذى تُطْوَى عليه الجوانح (٢)
٥ فما وَجدتْ وجدى بها أمٌّ واحد بواحـدها ضُمَّت عليه صَفائح (٣)
وجدتُ بها وجد المُضِـلِّ رِكابَه بمـكةَ والرُّكبانُ غـادٍ ورائح (٤)

---

(١) فى ديوان المجنون : فإن يك أقوام أشاروا بقتلها . وأهجروا : أساءوا القول .

(٢) ناصح الجيب : ناصح القلب مخلصه .

(٣) الجوانح : جمع جانحة ، وهى الضلوع التى تلى الصدر تحت الترائب . والذى تطوى عليه الجوانح : يريد به القلب .

(٤) وجد : حزن . والصفائح : جمع صفيحة ، وهى الحجارة العراض الرقاق ، ويريد أنه دفن .

١٥

نباكِرِ أَم تَرُوح غــــدا رَواحا	ولن يَسْطِيعَ مرْتَهَن بَراحــا (١)
سقيمٌ لا يُصـــاب له دواء	أصاب الحبُّ مقْلَتَــه فنــاحا (٢)
وعذبه الهـــوى حـتى براه	كبَرْيِ القَيْنِ بالسَّفَن القِداحا (٣)
فكاد يُذيقــه جُرَعَ المنــايا	ولو سَـــقَّاه ذلك لاسـتراحا (٤)

المصادر :

القالى : الأمالى ١ : ١٦٢ . السراج : مصارع العشاق ١ : ٢٣٦ . الأنطاكى تزيين الأسواق ٦٧

التعليق :

(١) التزيين : تبادر . والبكور : الإتيان فى البكرة ، وهى ما بين الفجر وطلوع الشمس . والرواح : الإتيان فى العشى ويسطيع : مخففة من يستطيع . والمرتهن : المقيد بأمر ما ، ويريد الذى قيده الحب . والبراح : التحول .

(٢) التزيين : دواه . والأمالى والتزيين : فباحا .

(٣) الشطر الثانى فى التزيين : كما ألقيت بالسفن القداحا ، تحريف . والقين : الصانع . والسفن : آلة النحت والتشذيب . والقداح : جمع قدح ، وهى سهام الميسر .

(٤) المصارع والتزيين : أسقاه

الدال

١٦

مرض قيس ، وحاول أبوه علاجه ، ولكن شيئا لم يفده . وبقى متعلقا بلبنى لا يسلوها . فأنبه أبوه ولامه وقال له : يا بنى ! اللهَ اللهَ فى نفسك ! فإنك ميت إن دمتَ على هذا ! فقال :

ففى عُرْوَةَ العُذْرِىِّ إنْ متُّ أُسْوةٌ ... وعَمْرِوبن عَجْلانَ الذى قتلتْ هِنْدُ (١)

وبى مِثْلُ ما ماتا به غيرَ أننى ... إلى أَجَلٍ لم يأْتنى وقتُه بَعْـدُ (٢)

هل الحبُّ إلا عَبرةٌ بعــد عبرةٍ ... وحَرٌّ على الأَحشاءِ ليس له بَرْدُ (٣)

المصادر :

القالى : الأمالى ٢ : ٢١٩ . الكتبى : فوات الوفيات ٢ : ٢٧٣ . أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٩٥ . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٦٨ . الذهبى : تاريخ الإسلام ٣ : ٦٤ . الصفدى : الوافى بالوفيات ١٨٣/٢/٧ . وتشنيف السمع ٣ (٣،٤) . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٥٢ (١،٢،٣) . وينتهى سندها إلى ثعلب .

وأوردها مهماة التبريزى : شرح الحماسة ٣ : ١٥٨ (٣،٤) ، والأصفهانى : الزهرة ٢١٢ (٣،٤) . وعزاها البكرى : سمط اللآلى ٢٠٦ (٣،٤) إلى بعض بنى أسد . ونسبها الوشاء : الموشى ٥٥ ، والنويرى : نهاية الأرب ٢ : ١٥٠ (٣،٤) إلى أبى وجزة السعدى . ووردت الأبيات (١،٣،٤) فى ديوان ابن الدمينة ١٢٠

الشرح :

(١) عمرو بن عجلان : كذا ورد فى الشعر ، والمعروف أنه عبدالله بن عجلان .

(٢) الكتبى : مثل ما قد نابه .

(٣) الحموى والتبريزى : إلا زفرة بعد زفرة . والكتبى والذهبى : إلا عبرة بعد زفرة . والصفدى مرة : إلا زفرة ثم عبرة ، وأخرى : عبرة ثم زفرة .

وفيض دموع العين بالليل كلما بدا عَلَم من أرضكم لم يكن يبدو (١)

١٧

قال خالد بن كلثوم : مرض قيس ، فسأل أبوه فتيات الحي أن يَعُدْنه ويحدثنه لعله أن يتسلى أو يحب إحداهن ، ففعلن ذلك . ودخل إليه طبيب ليداويه والفتيات معه . فلما اجتمعن عنده جعلن يحادثنه وأطلن السؤال عن سبب علته . فقال :

عِيدَ قيسٌ من حبِّ لبنى ، ولبنى داءُ قيسٍ ، والحبُّ داءٌ شـديدُ (٢)
وإذا عادني العـوائدُ يومـا قالت العين : لا أرى من أُريد (٣)

---

(١) بالليل : كذا في التزيين والفوات . وفي الأمالي : يا ليل . وفي الزهرة وشرح الحماسة : يامي . والبيت في الأغاني والتجريد والفوات وتاريخ الإسلام والصفدي :

وفيض دموع تستهل إذا بدا لنا علم من أرضكم لم يكن يبدو

والعلم : الجبل أو العلامة أو كل ما يهتدى به .

* * *

المصادر :

أبو الفرج : الأغاني ٩ : ١٩٤، ١٩٦ . الحموي : تجريد الأغاني ١ : ٦٧:١ الأنطاكي : تزيين الأسواق ٤٨ . الكتبي : فوات الوفيات ٢ : ٢٧٢ . الصفدي الوافي بالوفيات ١٨٣/٢/٧

الشرح :

غنى في هذه الأبيات ابن سريج خفيف رمل ، والحجبي ثقيلا أول بالوسطى ويحيى المكي رملا .

(٢) الكتبي : عدن قيسا . الأنطاكي : والحب صعب شديد . وعيد وعاد وتعود والعوائد : كلها صيغ متخذة من العيادة ، وهي زيارة المريض .

(٣) الحموي والأنطاكي والصفدي والكتبي : فإذا .

ليت لبنى تعودني ثم أقضي إنها لا تعود فيمن يعود (١)

وَيْحَ قيس لقد تضمَّن منها داءَ خَبْلٍ فالقلبُ منه عَميد (٢)

١٨

قال قيس في علته :

أَلَا ليتَ أَيَّاما مَضَيْنَ تعود فإن عُدْنَ يوما إنني لَسعيدُ (٣)

سَقَى دارَ لبنى حيث حَلَّتْ وخَيَّمتْ من الأَرض مُنْهَلُّ الغمام رَعود (٤)

على كلِّ حالٍ إن دَنَتْ أَو تباعدتْ فإن تَدْنُ منا فالدنوُّ مَزيد

فلا اليأْسُ يُسْلِيني ولا القربُ نافعي ولبنى مَنُوعٌ ما تكاد تجود (٥)

---

(١) أقضي : أموت .

(٢) الصفدي والكتبي : ماذا تضمن . والصفدي : فالقلب منها . وعميد : هده العشق .

• • •

المصادر :

أبو الفرج : الأغاني ٩ : ٢١٠ . الحموي : تجريد الأغاني ١ : ١٠٧٩ (عدا الأبيات ٣، ٥، ١٢) . ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢٧ : ٤٩٤ (١، ٤) . وعزا ابن طولون : بسط سامع المسامر ٩٣ الأبيات ٢ – ٥، ٧، ٩، ١١، ١٢ إلى مجنون ليلى . وانظر ديوانه ٩٩ .

الشرح :

(٣) ابن عساكر : فإن عدت لبنى إنني لسعيد .

(٤) المنهل : الممطر . الرعود : ذو الرعد . وغنت عريب في هذا البيت وسابقه خفيف ثقيل أول مطلقا في مجرى الوسطى ، وقيل : إن المغني غيرها .

(٥) ابن عساكر : فلا الناس تسليني ولا القرب نافع .

٥ كأنِّىَ من لبنى سَليمٌ مُسَهَّدٌ ... يَظَلُّ على أيدى الرجال يَميد (١)

رمتْنى لُبَيْنَى فى الفؤادِ بسهمها ... وسهمُ لبينى للفؤاد صَيُود

سلا كلُّ ذى شَجْوٍ علمتُ مكانَه ... وقلبى للبنى ما حَيِيتُ وَدودُ

وقائلةٍ قد مات أو هو مَيِّتٌ ... وللنفس منى أن تَفيض رَصيد (٢)

أعالج من نفسى بقايا حُشاشةٍ ... على رَمَقٍ والعائداتُ تعود (٣)

١٠ فإنْ ذكرتْ لبنى هَشِشْتُ لذكرها ... كما هَشَّ للثَّدْى الدَّرُورِ وَليد (٤)

أُجيب بلبنى مَنْ دعانى تجلُّدا ... وبى زَفَراتٌ تنجلى وتعود (٥)

نُعيد إلى روحى الحياةَ وإننى ... بنفسىَ لو عاينتِنى لأجود

---

(١) السليم : الملدوغ أو الجريح الذى أشرف على الهلاك . ويميد : يتحرك ويضطرب ويصيبه دوار وغثيان .

(٢) الحموى : أن تفيظ ، وهى بمعنى تفيض ، فكلاهما عبارة عن الموت .

(٣) الحشاشة : بقية الروح . والعائدات : اللائى يزرنه فى مرضه .

(٤) هش : ارتاح ونشط . والدرور : الغزير اللبن .

(٥) الحموى : ولى زفرات .

١٩

لعَمْرى لقد صاح الغراب ببَيْنِهم فأَوجع قلبى بالحديث الذى يُبْدِى

فقلت له : أَفصحتَ ، لا طِرْتَ بعدها بريشٍ ! فهل للبين وَيْحَك من رَدِّ !؟

٢٠

فما وجدَتْ وَجْدى بها أُمُّ واحدٍ ولا وجد النَّهْدِىُّ وجدى على هِنْد (١)

ولا وجد العُذْرِىُّ عروةُ فى الهوى كوجدى ولا من كان قبلى ولا بعدى (٢)

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ١٨ : ١٢٥

غنى فى هذين البيتين عمرو بن أبى الكنات ثقيلا أول باطلاق الوتر فى مجرى الوسطى .

* * *

المصادر :

الأنطاكى : تزيين الأسواق ٧٩،٥٢ ، ونسب الوشاء فى الموشى ٥٥ البيتين إلى جميل بثينة ، انظر ديوان جميل ٧٥ . ونسبهما فى ٦٣ لمجنون ليلى ، وانظر ديوانه ١١٤

التعليق :

(١) النهدى : عبد الله بن عجلان ، شاعر جاهلى ، أحب هندا وتزوجها ، فلم تنجب له ، وانتهز أبوه فرصة سكره فجعله يطلقها . ولما صحا ندم ومرض إلى أن مات من حبها .

(٢) عروة العذرى : هو ابن حزام ، أحب ابنة عمه عفراء وخطبها ، وغاب عنها عروة ، فخطبت إلى آخر وزوجت منه وسافرت معه . فلما عرف عروة مرض وتنقل باحثا عنها إلى أن توفى . ووجد : أحب حبا شديدا وتألم بسببه .

٢١

لما مرض قيس ، وعاده الطبيب ، وعرف أن سبب مرضه الحب ، سأله : « مذ كم هذه العلة ؟ ومنذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت ؟ » فقال :

تعلق روحي روحَها قبلَ خَلْقِنا ... ومن بعد ما كنا نِطافا وفى المهدِ

فزاد كما زِدْنا فأَصبــح ناميــا ... فليس وإنْ متنا بمنفصِم العهــد(١)

ولكنه باقٍ عــلى كل حادث ... وزائرُنا فى ظلمة القبر واللَّحْد(٢)

المصادر :

ابن قتيبة : عيون الأخبار ٤ : ١٤٥ (سوى ٥) . ابن طولون : بسط سامع المسامر ٩٢ (١ – ٥) . أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٩٤، ١٩٦ (١ – ٣) . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٦٧ (١ – ٣) . ابن قيم الجوزية : روضة المحبين ٢٥٦ (١ – ٤) الأنطاكى : تزيين الأسواق ٤٨ (١ – ٣) . الكتبى : فوات الوفيات ٢ : ٢٧٣ (١ – ٣) . ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢٧ : ٤٩٦ (١–٤) الصفدى : الوافى بالوفيات ١٨٣/٢/٧ (١ – ٣) .

ونسب الوشاء : الموشى ٦٣ (١ – ٤) وابن طولون : بسط سامع المسامر ٩٢،٨٣ (١ – ٥) ، والنويرى : نهاية الأرب ٢ : ١٦٢ (١، ٢، ٤، ٥) لمجنون ليلى . وانظر ديوانه ١١٤ . ونسب الأصفهانى : الزهرة ١٥ (١ – ٣) لجميل . وانظر ديوانه ٧٦، ٧٧

الشرح :

قال إسماعيل بن أبى أويس : أنشدت أبا السائب قول قيس المذكور ، فحلف لا يزال يقوم ويقعد حتى يرويها . وغنى الغريض فى الأبيات الثلاثة الأولى ثقيلا أول بالوسطى .

(١) البسط : فعاش كما عشنا . والأنطاكى والأغانى مرة : وأصبح . وابن عساكر : وليس . وروى الشطر الثانى فى الأغانى مرة : وليس إذا متنا بمنصرم العهد ، ومرة : بمنتقض العهد ؛ وفى التجريد والتزيين والوافى : وليس إذا متنا بمنفصم العقد ؛ وفى البسط : وليس إذا متنا بمنقضب العهد .

(٢) ابن قيم الجوزية : ومؤنسنا فى ظلمة . والأنطاكى : وزائرنى .

يكاد حبابُ الماء يَخْدِش جلدها إذا اغتسلتْ بالماء من رقة الجلد(١)
وإنِّىَ أشتاق إلى ريح جيبهـــا كما اشتاق إدريس إلى جنة الْخُلْد
ولو لبستْ ثوبا من الورد خالصا لخَدَّش منها جلدَها ورقُ الورد
يُثَقِّلها لبْسُ الحـــرير لِلينها وتشكو إلى جاراتها ثِقَــل العِقْد
وأرحمُ خـــدَّيْها إذ ما لَحَظْتُها حِذارًا للحْظِى أن يُؤَثِّرَ فى الخد

٢٢

ولو أننى أَسْطِيــعُ صبرا وســلوةً تناسيتَ لبنى غيرَ ما مُضْمِرٍ حِقْدَا(٢)
ولكنَّ قلبى قد تقسَّمه الهــوى شَتاتا فما أُلْفَى صبورا ولاجَلْدا(٣)
سل الليلَ عنى كيف أرعى نجومَه وكيف أُقاسى الهم مُسْتَخْلِيًا فَرْدا(٤)
كأن هبوب الريح من نحوأرضكم يُثير فُتاتَ المِسْك والعنبرَ النَّدا(٥)

(١) ابن قيم الجوزية : مسيل الماء . والبسط : فضيض الماء . وابن عساكر : نضيض الماء .

• • •

المصادر :

الذهبى : تاريخ الإسلام ٣ : ٦٢ . ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢٧ : ٤٨٠

الشرح :

(٢) أسطيع : أستطيع .
(٣) شتات : متفرق .
(٤) مستخليا فردا : مختليا منفردا .
(٥) الذهبى : قناة المسك . وابن عساكر : سهات المسك . وأرجح أنهما محرفان عن فتات . والند : العود الذى يتبخر به .

الـراء

٢٣

رحل قيس إلى المدينة ونزل بدار امرأة من موالى بنى زُهْرة تسمى بُرَيكة . واستطاع بفضلها أن يلتقِى بلبنى ، بعد أن طلقها وتزوجت غيره . فلم يزل يومَه معها يحدثها ويشكو إليها أعفَّ شكوى وأكرم حديث حتى أمسى ، فانصرفتْ ووعدتْه الرجوعَ إليه من غدٍ ، فلم ترجع . وشاع خبره فلم ترسل إليه رسولا . فكتب الأبيات التالية فى رقعة ، ودفعها إلى بريكة ، وسألها أن توصلها إليها :

بنفسيَ مَنْ قلبى له الدهرَ ذاكرُ ⁂ ومَنْ هو عنى مُعْرِضُ القلب صابرُ
ومَنْ حُبُّه يزداد عندىَ جِـدَّةً ⁂ وحبى لديه مُخْلَقُ العهـد داثرُ(١)

٢٤

خذوا بدمى – إنْ مِتُّ – كلَّ خَريدةٍ ⁂ مريضةِ جَفْن العين ،والطَّرْفُ فاترُ(٢)

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ٢١١ . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٨٠

التعليق :

(١) الحموى : عندى تجددا . ومخلق : قديم بال ، وداثر : دارس زائل . وغنت فى هذين البيتين ضنين جارية خاقان بن حامد خفيف رمل .

* * *

المصادر :

الراغب الأصفهانى : محاضرات الأدباء ٢ : ٢٦

الشرح :

(٢) الخريدة : الفتاة الحيية الطويلة السكوت .

٢٥

أتى قيس قومه فاقتطع قطعة من إبله وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعها . فعرف أبوه أنه إنما يريد لبنى ، فعاتبه وزجّره عن ذلك ؛ فلم يقبل منه ، وأخذ إبله وقدم بها المدينة . فبينا هو يَعْرِضها إذ ساومه زوجُ لبنى بناقة منها وهما لا يتعارفان ، فباعه إياها . فقال له : إذا كان غدٌ فأْتِني فى دار كَثِير بن الصَّلْت فاقبِض الثمن . قال : نعم . ومضى زوج لبنى إليها فقال لها : إنى ابتعت ناقة من رجل من أهل البادية . وهو يأْتينا غدا ليقبض ثمنها ، فأَعِدِّى له طعاما ، ففعلت . فلما كان من الغد ، جاء قيس فصوَّت بالخادم : قُولى لسيدك : صاحب الناقة بالباب . فعرفتْ لبنى نَغْمته فلم تقل شيئا . فقال زوجها للخادم : قولى له : ادخل . فدخل فجلس . فقالت لبنى للخادم : قولى له : يا فتى ، ما لى أراك أشعث أغبر ؟ فقالت له ذلك . فتنفس ثم قال لها : هكذا تكون حال من فارق الأحبة واختار الموت على الحياة ، وبكى . فقالت لها لبنى : قولى له : حدِّثْنَا حديثك . فلما ابتدأ يحدث به كشفت الحجاب وقالت : حَسْبُكَ ! قد عرفنا حديثك ! وأسبلت الحجاب . فبُهت مدة لا يتكلم ثم انفجر باكيا ونهض فخرج . فناداه زوجها : وَيْحَكَ ! ما قصّتك ؟ ارجع اقبض ثمن ناقتك ، وإن شئت زدناك . فلم يكلمه وخرج فركب ناقته ومضى . وقالت لبنى لزوجها : وَيْحَكَ ! هذا قيس بن ذريح ، فما حملك على ما فعلت به ؟ قال : ما عرفته . وجعل قيس يبكى فى طريقه ويندب نفسه ويوبخها على فعله . ثم قال :

أرى بيت لبنى أصبح اليومَ يُهْجَرُ　　وهجرانُ لبنى – يالكَ الخيرُ – مُنْكَرُ

أتبكى على لبنى وأنت تركتَها ؟　　وأنت عليها بالمَلَا أنت أقدرُ(١)

فإن تكن الدنيا بلبنى تقلَّبتْ　　علىّ فللدنيا بطونٌ وأَظْهُــر (٢)

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٧ : ٢٧، ٢٨ ، ٩ : ٢٠٥، ٢٠٦ . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٧٥ (عدا الأول) . الأصفهانى : الزهرة ٢٧٤ (٣ — ٥) . البصرى : الحماسة البصرية ١٥٧ (٣ — ٥) . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٥١ (٢، ٣، ٦) . العمرى : مسالك الأبصار ٩/١/١٤٧ (٣ — ٦) ابن منظور : اللسان ١٩ : ١٦١ (٢) . سيبويه : الكتاب ١ : ٣٩٥ (٢) الشنتمرى : شرح الشواهد ١ : ٣٩٥ (٢) . ابن يعيش : شرح المفصل ١ : ٤٣٢ (٢) .

التعليق :

غنى فى البيتين الأولين الغريض ثقيلا أول بالبنصر ، وعريب رملا بالبنصر، وشارية خفيف رمل بالوسطى . وغنى أحدهم فى البيت الأول خفيف ثقيل .

(١) سيبويه واللسان : تبكى . واللسان وسيبويه والشنتمرى والحموى والأنطاكى : وكنت عليها . والأغانى مرة : عليها بالحرا . والملا : جمع ملاة ، وهى الصحراء ذات الحر والسراب ، أو الملا : موضع بعينه . والحرا : جناب الرجل وما حوله .

(٢) الأغانى مرة والمسالك : تغيرت . والحموى : تفرقت . والزهرة : وللدنيا . ورواية الشطر الثانى فى الأغانى مرة والتجريد والحماسة والتزيين : فللدهر والدنيا بطون وأظهر . وفى المسالك : فما زال للدنيا بطون وأظهر . ويريد بهذا الوصف أنهما عرضة للتقلبات .

لقد كان فيها للأمانة موضــعٌ ... وللقلب مُرتادٌ وللعين منــــظر(١)

وللحائم العطشان رِيٌّ بريقِهـا ... وللمَرِح المختال خمــرٌ ومُسْكِر(٢)

٥ كأنى لها أُرجوحــةٌ بين أَحْبُلٍ ... إذا ذُكْرَةٌ منها على القلب تَخْطُر(٣)

---

(١) الزهرة : فقد كان . وللقلب : كذا فى المسالك ، وفى بقية المصادر : للكف . ومرتاد : موضع ارتياد ، وهو الذهاب والمجىء .

(٢) رواية البيت فى الزهرة :

وللهائم الظمآن رى بريقها ... وللدنف المشتاق خمر ومسكر

وفى المسالك :

وللحائم الصديان مروى (بريقها) ... وللمرح المختال طيب ومسكر

وفى الحماسة :

وللحائم الصديان رى بقربها ... وللمرح الذيال طيب ومسكر

(٣) التجريد والتزيين : كأنى فى . والتزيين : إذا فكرة . والأحبل : جمع حبل . والذكرة : التذكر .

٢٦

قال أبو دعامة : خرج قيس فى فتية من قومه واعتلَّ على أبيه بالصيد، فأتى بلاد لبنى ، فجعل يتوقع أن يراها أو يرى من يرسل إليها . فاشتغل الفتيان بالصيد . فلما قضَوْا وَطَرهم منه رجعوا إليه وهو واقف ، فقالوا له : قد عرفنا ما أردت بإخراجنا معك وأنك لم تُرِد الصيد وإنما أردت لقاء لبنى ، وقد تعذر عليك فانصرف الآن . فأبى ، فأقاموا معه حتى لقيها . فقالت له : يا هذا ، إنك متعرض لهلاك نفسك وفاضحى . فقال لها :

صَدَعْتِ القلبَ ثم ذَرَرْتِ فيه   هواكِ فَلِيم فالتـأم الفُـطورُ(١)

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٩٠

أورد العكبرى : التبيان ١ : ١٩٢ البيت الثانى دون أن يعزوه إلى أحد . وعزاه الخالديان : المختار من شعر بشار ١٥٤ إلى الحارث بن خالد المخزومى . ونسب ابن زيادة الله (سمط اللآلى ١٨٧) البيتين له . ونسبهما لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . القالى : ذيل الأمالى ٢١٧ ، والبكرى : ذيل سمط اللآلى ١٠٣ ، وأبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٥١ ، والحصرى : زهر الآداب ١٧٠ ، والمرزوقى : شرح الحماسة ١٣٥٤ ، والتبريزى : شرح الحماسة ٣ : ١٦٧ ، والمرتضى : الأمالى ٢ : ٦٢ ، ومجموعة المعانى ١٦١ (٢) .

الشرح :

وحدث أبو الوردان قال : حدثنى أبى قال : أنشدت أبا السائب المخزومى قول قيس هذا . فصاح بجارية سندية تسمى زبدة . فقال : أى زبدة ، عجلى . فقالت : أنا أعجن . فقال : ويحك ! تعالى ودعى العجين . فجاءت فقال لى : أنشد بيتى قيس . فأعدتهما . فقال لها : يا زبدة . أحسن قيس وإلا فأنت حرة ! ارجعى الآن إلى عجينك أدركيه لا يبرد .

(١) صدعت : شققت . وزررت : نثرت ورششت . والفطور : الشقوق.

تغلغلَ حيث لم يبلُغ شرابٌ ولا حزنٌ ولم يبلغ سرور (١)

٢٧

أَلَا يا غراب البَيْنِ لونُك شاحب وأنت بلَوْعات الفراق جديرُ
فإن كان حقا ما تقول فأَصبحتْ همومُك شتى بَثُّهنَّ كثير (٢)
ودُرْتَ بأعداءِ حبيبك فيهمُ كما قد ترانى بالعدو أدور

(١) علق المرتضى على هذا البيت فقال : أخذ هذا المعنى أبو نواس فقال :
أحللت فى قلبى هواك محلة ما حلها المأكول والمشروب
وأخذه المتنبى فى قوله :
وللسر منى موضع لا يناله نديم ، ولا يفضى إليه شراب

° ° °

المصادر :

الأصفهانى : الزهرة ٢٤٩

وعزا القالى : الأمالى ١ : ١٨٣ الأبيات لجميل ، وقال عنها : « أنشدنا أبو الحسن ابن البراء قال : أنشدنا إبراهيم بن سهيل لجميل بن معمر العذرى . قال أبو على : وليست هذه الأبيات فى شعر جميل » . وعزا ابن طولون : بسط سامع المسامر ٨٤ البيتين الأول والثانى لمجنون ليلى . وانظر ديوان جميل ٩٤ وديوان مجنون ليلى ١٤١

وورد البيت الأخير فى هذه المقطوعة وسابقتها . وليس من اليسير التوفيق بين المقطوعتين ، بل الظاهر أنهما منفصلتان ، ولذلك تركتهما على حالها .

الشرح :

(٢) البث : أشد الحزن .

٢٨

سقط غراب قريبا من قيس فجعل ينعق مرارا ، فتطير منه . ثم منعه قومه من الإلمام بلبنى ، فقال :

وددتُ من الشوقِ الذى بى أننى ... أُعار جناحَىْ طـائرٍ فأطيرُ

فما فى نعيمٍ بعد فَقْـدِكِ لذةٌ ... ولا فى سرور لستِ فيه سـرور

وإن امرءا ، فى بلدةٍ نصفُ نفسهِ ... ونصفٌ بأُخرى ، إنه لصبور

تعرفتُ جثمانى أسيرا ببلـدةٍ ... وقلبى بأُخـرى غير تلك أسير

ألا يا غراب البين وَيْحَكَ نبِّنى ... بعلمك فى لبنى وأنت خبير (١)

المصادر :

ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢٧ : ٤٩١، ٤٩٣ . ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٣٩٩ (٥ ـ ٧) . أبو الفرج : الأغانى ٢ : ٨٩، ٩١ ، ٩ : ١٨٦ (٥ ـ ٧) . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٦٦ . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٦٧ (٥ ـ ٧) ابن طولون : بسط سامع المسامر ٨٤ (٥ ـ ٧)ونسب البيت الأخير لجميل فى أمالى القالى ١ : ١٨٤ . وانظر ديوانه ٩٤

الشرح :

قال ابن قتيبة : إن لبنى نذرت ألا تقدر على غراب إلا قتلته . لطيرة قيس منهن فى هذا الشعر . وغنى فى الأبيات سليمان أخو حجبة رملا بالوسطى ، وابن محرز ثقيلا أول بالوسطى ، وحكم الحنا غير موصوف .

(١) الأنطاكى : أنبنى . الحموى : من لبنى .

فإن أنت لم تخبر بشيء علمتَه فلا طرتَ إلا والجناحُ كسير (١)
ودرتَ بأعداء حبيبُك فيهمُ كما قد ترانى بالحبيب أدور (٢)

٢٩

أنشد أبو بكر بن الأنبارى قال : أنشدنى أبى رحمه الله لقيس بن ذريح :

لو أنَّ امْرَأً أَخْفَى الهوى عن ضميره لَمُتُّ ولم يعلم بذاك ضميرُ (٣)
ولكنْ سألقى اللهَ والنفسُ لم تبُحْ بسِرِّكِ والمسْتخبرون كثير

---

(١) الأغانى مرة والتجريد : بما قد علمته .
(٢) انظر المقطوعة السابقة .

• • •

المصادر :
القالى : الأمالى ٢ : ١٧٦ . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٥٢ . مجموعة المعانى ٧١ . ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢٧ : ٤٩١

الشرح :
(٣) القالى وابن عساكر : من ضميره .

٣٠

لما مرض قيس وعاده الطبيب وعرف علته ، قال له : إن مما يُسْليك عنها أن تتذكر ما فيها من المساوئ والمعايب وما تعافه النفس من أقذار بنى آدم ، فإن النفس تنبو حينئذ وتسلو ويخفّ ما بها . فقال :

إذا عِبْتُها شَبّهتُها البدْرَ طالعا ... وحَسْبُكَ من عيبٍ لها شبَهُ البدرِ (١)

لقد فُضِّلتْ لبنى على الناس مثلَ ما ... على ألف شهر فُضِّلتْ ليلةُ القَدْرِ (٢)

إذا ما مشتْ شبرا من الأَرض أَرْجَفتْ ... من البُهْر حتى ما تَزيدُ على شبر (٣)

لها كفلٌ يَرْتَجُّ منها إذا مشتْ ... ومَتْنٌ كغصن البان مُضْطمِرُ الخَصْرِ (٤)

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٩٥ . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٤٨ . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٦٨ (١ ، ٢ ، ٤) . السيوطى : شرح الشواهد ١٨٤ (١ ، ٢) . الذهبى : تاريخ الإسلام ٣ : ٦٤ (١ ، ٤) وأورد ابن أبى عون : التشبيهات ٩٣ والعسكرى : المعانى ١ : ٢٣١ البيت الأول دون أن يعزواه لأحد .

وورد البيت الثانى فى قصيدة فى ديوان مجنون ليلى منسوبة إليه ١٦٠ ، وفى قصيدة نسبها أبو الفرج : الأغانى ٨ : ١٥١ لجميل . وانظر ديوانه ١٠٤

الشرح :

غنى فى البيتين الأخيرين ابن المكى خفيف رمل بالوسطى ، وابن سريج أو ابن طنبورة رملا .

(١) التشبيهات : إذا أعتبتها . الذهبى : عيب بها .

(٢) ديوان المجنون : فضلت ليلى .

(٣) أرجفت : ارتجفت . والبهر : انقطاع النفس من الإعياء .

(٤) الأنطاكى : منضمر الخصر . وهى ومضطمر بمعنى دقيق الخصر . والكفل : الردف أو العجز .

٣١

وداع دعا إذ نحن بالخَيْف من منًى ... فَهيّج أشجانَ الفؤاد وما يَدْرى(١)

دعا باسم ليـلى غيرها فكأنّمـا ... أهاج بليلى طائرا كان فى صدرى

المصادر :

الراغب الأصفهانى : محاضرات الأدباء ٢ : ٣١

وأورد البيتين مهملين السراج : مصارع العشاق ٢ : ٥٢ . والأنطاكى : تزيين الأسواق ١٧ ، وابن أبى حجلة : ديوان الصبابة ١٩ . ونسبهما إلى جميل، البصرى : الحماسة البصرية ٢ : ١٩٦ . وانظر ديوانه ١٠٠ . ولكن أكثر الروا ينسبهما إلى مجنون ليلى . انظر أبا الفرج : الأغانى ٢ : ٥٥،٢٢ ، والقالى : الأمالى ٢ : ٦١ ، وابن طولون : بسط سامع المسامر ٨٥،٧٥ ، والسراج : مصارع العشاق ٢ : ٢٢٧،٥٣ ، والكتبى : فوات الوفيات ٢ : ٢٧٧ ، والأنطاكى : تزيين الأسواق ٦١ ، وابن قتيبة : الشعر والشعراء ٦٠، ، والخالديين : المختار من شعر بشار ١٠ ، والذهبى : تاريخ الإسلام ٣ : ٦٦

الشرح :

غنت عريب فى البيتين خفيف ثقيل .

(١) الخيف : ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل .

٣٢

لما أُدخلت لبنى هودجها ، بعد أن طلقها قيس وتأهبت للرحيل إلى قومها ، جعلت تبكى ويبكى قيس . ثم قال :

أَلَا ياغرابَ البَيْنِ هل أنت مُخْبِرى ... بخيرٍ كما خَبَّرتَ بالنأْى والشرِّ

وخَبَّرتَ أنْ قد جَدَّ بَيْنٌ وقَرَّبوا ... جِمالا لبَيْنٍ مُثْقلاتٍ من الغدر(١)

وهجتَ قذى عينٍ بلبنى مريضةٍ ... إذا ذُكرتْ فاضت مدامعها تجرى

وقلتَ كذاك الدهرُ مازال فاجعا ... صدقتَ ! وهل شىءٌ بباقٍ على الدهر ؟

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٢ : ٩١ ، ٩ : ١٨٦ . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٦٧ الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٦٦ (١ ، ٤) .

التعليق :

ذكر أبو الفرج فى الجزء الثانى أن إسحاق قال إن ابن جامع غنى فى هذه الأبيات ثقيلا أول بالسبابة فى مجرى البنصر . وأن عمرا ذكر أن بحرا غنى فيها ثقيلا أول بالوسطى ، وأن الهشامى وعبد الله بن موسى ذكرا أن لدحمان فيها ثانى ثقيل . ثم ذكر أبو الفرج فى الجزء السابع أن البيت الأول والرابع منها غنى فيهما ابن جامع ثانى ثقيل بالبنصر عن الهشامى . وذكر حبش أن لقفا النجار فيهما ثقيلا أول بالوسطى .

(١) الأنطاكى : جمالا للبنى . وجد البين : عزموا على الفراق .

٣٣

تداويتُ من ليلى بليلى من الهوى　　كما يتداوى شاربُ الخمر بالخمرِ (١)

المصادر :

البغدادى : الخزانة ٤ : ٥٨٠

وأورده ابن أبى حجلة : ديوان الصبابة ١٠٨ مهملا ، وعزاه الأصفهانى : الزهرة ٣٣ ، والعمرى : مسالك الأبصار ١٤٢/١/٩ ، وابن طولون : بسط سامع المسامر ٨٥ لمجنون ليلى . وانظر ديوانه ١٦٠

الشرح :

(١) ديوان المجنون : عن الهوى .

وذكر البغدادى أن أول من ابتكر هذا المعنى الأعشى فى قوله :

وكأس شربت على لــذة　　وأخرى تداويت منها بها

لكى يعلم الناس أنى امرؤ　　أتيت المعيشة من بابهــا

ثم أخذه منه قيس بن ذريح ، ثم أخذه أبو نواس فأحسن فى قوله :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء　　وداونى بالتى كانت هى الداء

٣٤

لما طلق قيس لبنى تتبعتها نفسه ، واشتد وجده بها ، وجعل يُلمّ بمنزلها سرا من قومه . فزوجها أبوها رجلا من غطفان . وعاود قيس زيارته إياها . فشخص أبوها إلى معاوية بن أبى سفيان ، فأخبره بتعرضه لها . فكتب له معاوية بهدر دمه إن عاد . فقال قيس :

فإن يَحْجُبُوها ويَحُلْ دونَ وصلها مقالةُ واشٍ أو وعيـــدُ أمير(١)

المصادر :

الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٧١ . الأنطاكى : تزيين الأسواق ١٠٤٩ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٣٩٩ (١–٣ ، ٦–٧) . الوشاء : الموشى ٦٤ (٨ ، ٦ ، ٧) الأصفهانى : الزهرة ١٠٥ (١ ، ٢) . السراج : مصارع العشاق ٢ : ١٠١ ، ٢١٥ (٨ ، ٦ ، ٧) والكتبى : فوات الوفيات ٢ : ٢٧٣ (١ ، ٢ ، ٦–٨) . الصفدى : الوافى بالوفيات ٧/٢/١٨٤ (١ ، ٢ ، ٦–٨)وابن طولون : بسط سامع المسامر ٨٣ (٨ ، ٦ ، ٧). والنويرى : نهاية الأرب ٢ : ١٦٠ (٨ ، ٦ ، ٧) . ونسبها ابن عساكر : تاريخ دمشق ٣ : ٤٠١ (١ – ٣) إلى جميل . وانظر ديوانه ١١٢ . وتوقفت مجموعة المعانى ٢٠٨ فقالت : « قال قيس بن ذريح ، وتروى لعبد الله ابن مصعب » . وكذا فعل أبو الفرج : الأغانى ٩ : ٢٠٠ ، ٢٠ : ١٨٠ ، فقال : « هكذا فى هذا الخبر أن الشعر لقيس بن ذريح ، وذكر الزبير بن بكار أنه لجده عبد الله بن مصعب » . ووردت الأبيات (١–٣ ، ٧) فى ديوان مجنون ليلى ١٦٩

الشرح :

قال أبو الفرج عما فى الأبيات من غناء : « غنى يزيد حوراء فى الأول والثانى والسادس والثالث من هذه الأبيات خفيف رمل بالوسطى . وغنى إبراهيم فى الأول والثانى لحنا من كتابه غير مجنس . وذكر حبش أن فيهما لإسحاق خفيف ثقيل بالوسطى . وفى الخامس وما بعده لعريب ثقيل أول ابتداؤه نشيد » .

(١) مجموعة المعانى : تحجبوها .

فلن يمنعوا عينىَّ من دائم البكا ... ولن يُذهبوا ما قد أجَنَّ ضميرى (١)

إلى الله أشكو ما ألاقى من الهوى ... ومن حُـرَقٍ تعتادنى وزفـير (٢)

ومن حَرَقٍ للحب فى باطن الحشا ... وليلٍ طويلِ الحُزن غيرِ قصير (٣)

٥ سأبكى على نفسى بعينٍ غزيرةٍ ... بكاء حزينٍ فى الوَثـاق أسـير

وكنا جميعا قبل أن يظهر الهوى ... بأنْعَمِ حالَىْ غبطـةٍ وسرور (٤)

فما برِح الواشـون حتى بَدتْ لهم ... بطونُ الهـوى مقلوبةً لظهـور (٥)

لقد كنتِ حَسْبَ النفس لو دام وصلُنا ... ولكنما الدنيا متـاعُ غـرور (٦)

---

(١) مجموعة المعانى : تمنعوا .. تذهبوا . الأنطاكى : ولم يذهبوا . وأجن : أخفى .

(٢) ابن قتيبة : ما أكن من الهوى . والحموى : ومن شجن يعتادنى . والأنطاكى : ومن كرب تعتادنى .

(٣) الحرق : النار ، ويحتمل أن تكون حرق جمع حرقة مثل التى فى البيت السابق .

(٤) الوشاء والأنطاكى والكتبى : يظهر النوى . وابن طولون : يعلم الهوى. وابن قتيبة والوشاء وابن طولون : بأحسن حالى .

(٥) بدت لهم : كذا فى الأغانى والتجريد ، وفى سائر المصادر : بدت لنا .

(٦) الوشاء : دام ودها . والسراج والنويرى وابن طولون : دام ودنا . وحسب النفس : كفايتها .

٣٥

جعل قيس يعاتب نفسه فى طاعته أباه فى طلاقه لبنى ويقول : فألّا رحلتُ بها عن بلده فلم أرَ ما يفعل ولم يرنى ! فكان إذا فقدنى أقلع عما يفعله ، وإذا فقدتُه لم أتحرج من فعله ! وما كان علىّ لو اعتزلته وأقمت فى حيّها أو فى بعض بوادى العرب ، أو عصيته فلم أُطعه ! هذه جنايتى على نفسى فلا لوم على أحد ! وها أنا ذا ميت مما فعلته ، فمن يرد روحى إلىّ ؟ ! وهل لى سبيل إلى لبنى بعد الطلاق ؟ ! وكلما قرَّع نفسه وأنَّبها بلون من التقريع والتأنيب بكى أحر بكاء وألصق خده بالأرض ووضعه على آثارها . ثم قال :

وَيْلِى وعَوْلى وما لى حين تُفلِتُنى ... من بعدما أحرزتْ كفى بها الظَّفَرَا[1]

قد قال قلبى لطَرْفى وهو يعذله : ... هذا جزاؤك منى فاكدُم الحَجَرا[2]

قد كنتُ أنهاك عنها لو تطاوعنى ... فاصبر فما لك فيها أجرُ من صبرا

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٩١

الشرح :

غنى فى هذه الأبيات الغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى ، وإبراهيم ثقيلا أول بالوسطى ، وابن الهربذ فى الثالث والأول منها خفيف رمل .

(١) العول : رفع الصوت بالبكاء والصراخ .

(٢) الكدم : العض بمقدم الفم .

العــين

٣٦

قال خالد بن كلثوم : وقال قيس :

أَلَا ليت لبنى فى خلاءٍ تزورنى فأَشكو إليها لَوعتى ثم ترجــعُ
صحا كلُّ ذى لُبٍّ وكلُّ متيَّمٍ وقلبى بلُبنى ما حييتُ مُــروَّعُ
فيا مَنْ لقلبٍ ما يُفيق من الهوى ويا مَنْ لعينٍ بالصبــابة تدمع

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٩١

• • •

٣٧

أَلَا يا لَقومى كلُّ ما حُمَّ واقعُ وللطير مَجْرًى والجُنوبِ مَصارعُ(١)

المصادر :

العينى : المقاصد النحوية ٣ : ٣٥٢ . ابن منظور : اللسان ١٥ : ٤١ .
ابن سيده : المخصص ٦ : ١٢١

قال العينى عن قائله : « قائله هو قيس بن ذريح ، والأصح أن قائله هو البعيث ، وهو خداش بن بشر الدارمى » . وكذا نسبه ابن منظور إليه . وأهمل ابن سيده نسبته .

الشرح :

(١) حم : قدر . والجنوب : جمع جنب . واستشهد به النحاة ، فقالوا : « الاستشهاد فيه فى قوله : والجنوب مصارع ، حيث جاء قوله : والجنوب ، بالجر ، مع أنه خبر عن قوله مصارع ، لأنه عطف على قوله : وللطير ، بحرف مقدر تقديره : وللجنوب » .

٣٨

قال القالى : وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال : أنشدنا محمد المَرْزُبانىّ لقيس بن ذريح ، وقرأت جميعها على أبى بكر ، وأنشدنى أحمد ابن يحيى بعضها ، وهى أطول كلمة لقيس :

المصادر :

القالى : الأمالى ٢ : ٣١٤ (سوى ١٤، ٢٨) . الراشدى : التصريح ١٧ (سوى ١٤، ٢٨) . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٥٢، ٥٥ (سوى ١٤) . أبو الفرج : الأغانى ٩ : ٢١٣، ٢١٧ (٣٥–٣٩، ٤٣، ٤٤، ٩، ١١، ٣١، ١٦، ١٧، ٢٥، ٧، ٥١، ١٨، ٤١، ٤٠، ٤٢، ٥٣، ٥٢، ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٤٧، ٣٢، ٣٣، ١٣، ١٢) . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٨٠١، ١٠٨٢ (مثل الأغانى سوى ٣٢) . ثعلب : مجالسه ٢٨٨ (١–٤، ١١، ٣١، ٣٢، ١٧، ٤٦، ٨، ٥، ٢٥، ٩، ٧، ٢٦، ٢٧، ٢٩) . ابن منظور : اللسان ١ : ٤٨٤ ، ٥ : ٣٥٠ ، ٩ : ٤١٦ ، ١٠ : ٤٧، ١٠٦ ، ١١ : ٥١، ١٤٣ ، ١٢ : ٥٠، ١٧٠ ، ١٥ : ١٢٦ ، ١٧ : ٩٦ ، ١٩ : ٢٤٩، ٢٧٤ (١، ٢، ٤، ٥، ٨، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣١، ٣٢، ٤٦) . البصرى: الحماسة البصرية ١٨٧ (٩، ٥١، ٢٦، ٢٧، ٤١، ٤٠، ٤٢، ٤٧، ١٣، ١٤) ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢٧ : ٤٦٨، ٤٨٧، ٤٩٣ ، (١ –٤، ١١، ٣١، ٣٢، ١٧، ٤٦، ٨، ٥، ٢٥، ٩، ٧، ٢٦–٢٨) الزبيدى : التاج ٣ : ١٩٥ ، ٥ : ٣٧٨، ٦ : ٨٣، ١٣٦، ١٩٥ ، ٧ : ٤٠ (١، ٢، ٣١، ٣٢) . البكرى : سمط اللآلى ٦١٨، ٩٦١ (٢١، ٢٢، ٣٦، ٣٧، ٤٠) . الأصفهانى : الزهرة ٢٤٨ (٩، ١١، ٨) ياقوت : معجم البلدان ٣ : ٦٤ (١، ٢) . ابن أبى حجلة : ديوان الصبابة ١٣١ (٤١، ٤٠) . ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٣٩٩ (٣٢) والمعانى الكبير ١ : ١٢٣ (٢) السراج : مصارع العشاق ١ : ١٤٦، ١٤٧ ، ٢ : ١١٧، ١٦٤ (٩، ١١) . الآمدى : المؤتلف والمختلف ١٢٠ (٩) . البكرى : معجم ما استعجم ١٢٣ (٢) ابن طولون : بسط سامع المسامر ٨٤ (١٨، ١٩) . =

... ...– ... ...

= ونسب ابن طولون: بسط سامع المسامر ٧٢ (٤٠، ٤١) ، والعمرى : مسالك الأبصار ٩/١/١٤٣ (٤١، ٤٢) ، والذهبى : تاريخ الإسلام ٣ : ٦٥ (٤٠، ٤١) ، والسراج : مصارع العشاق ٢ : ٤٧، ٢٨٦ (٤٠، ٤١) والصفدى : الغيث المنسجم ١ : ١٧٨ (٤١، ٤٠) لمجنون ليلى . وانظر ديوانه ١٨٥، ١٨٦

ونسب أبو الفرج ١٥ : ١٤٧ (٤٠–٤٢) عن ثعلب عن عبد الله بن شبيب عن محمد بن عبد الله الكرانى ، والمرزبانى : الموشح ٣٢ (٤١) ، والراغب : محاضرات الأدباء ٢ : ٥٤ (٤١) ، وابن منظور : نثار الأزهار ١٦ (٤١) ، والعباسى : معاهد التنصيص ١ : ١٧٠ (٤٠–٤٢) ، والزمخشرى : أساس البلاغة ٢ : ٥٤٢ (٤٠) ، والباقلانى : إعجاز القرآن ١١٣ (٤١) لابن الدمينة . وانظر ديوانه ٨٧ .

ونسب المبرد : الكامل ٢٥٥ ، والقالى : الأمالى ١ : ١٩٦ ، وابن منظور : اللسان ٩ : ٤٩٨ ، ١٠ : ١٥١ البيت ١٤ للبعيث المجاشعى . وروى أبو الفرج : الأغانى ٢ : ٣٤، ٣٥، ٤٥ ، أن الصولى كان ينسب البيت ١٤ للبعيث ، وأن المازنى كان ينسبه لمجنون ليلى .

ونسب الهجرى فى نوادره ٤٣٣ (٤٠، ٤١) إلى عمرو بن المسلم، والأصفهانى. الزهرة ٢٤٣ (٤٥) إلى يزيد بن الطثرية .

وقال العباسى فى معاهد التنصيص عن الشعر : « قصيدة طويلة يخلطها الناس كثيرا بقصيدة لمجنون ليلى ، لأنها توافقها فى الوزن والقافية » . والحق أن الاختلاف فى الأبيات (١٤، ٤٠–٤٢) وحدها . قال أبو الفرج عن الأبيات الثلاثة الأخيرة : « وقد قيل : إن ثلاثة أبيات من هذه ، وهى « أقضى نهارى بالحديث وبالمنى » والبيتان اللذان بعده لابن الدمينة الخثعمى . وهو الصحيح ، وإنما أدخلها الناس فى هذه الأبيات لتشابهها » . وقال الأنطاكى عن البيتين (٤٠، ٤١) بعد أن أورد نسبتهما إلى مجنون ليلى : « وقد تقدم أن البيتين لقيس بن ذريح . وصرح فى نزهة العشاق بذلك ، وقال : إن المجنون كان يتمثل بهما . وهذا هو الصحيح » . والأمر الذى أكاد أوقن به أن البيت ١٤ للبعيث ، أما الأبيات الأخرى فاشتد الخلاف فيها بحيث تعارضت أقوال الراوى الواحد فى المواضع المختلفة ، فتعذر معرفة حقيقتها .

عفا سَرِفٌ من أهــله فسُراوِعُ فجَنْبا أَريكٍ فالتِّــلاعُ الدَّوافعُ(١)

فغيْقــةُ فالأَخْيافُ أَخيافُ ظبيةٍ بها من لُبَيْنى مَخْرَفٌ ومَرابــع(٢)

لعل لبينى أَن يُحَمَّ لقاؤُهــــا ببعض البــلاد إنَّ ما حُمَّ واقــع(٣)

بجِزْعٍ من الوادى خلا عن أنيسِهِ عَفا وتخطَّتْهُ العيونُ الخــوادع(٤)

الشرح :

عد أبو الفرج هذه القصيدة من جيد شعر قيس . وقد غنى فى أبيات منها الغريض ثقيلا أول بالسبابة فى مجرى الوسطى ، وإبراهيم الموصلى رملا بالوسطى.

(١) اللسان : « قال غيره (الفارسى) : إنما هو سراوع بالفتح ، ولم يحك سيبويه فعاول . ويروى : فشراوع ، وهى رواية العامة » . وفى معجم البلدان مجالس ثعلب والتاج وتاريخ دمشق : فوادى قديد فالتلاع الدوافع . والبيت وفى التزيين :

عفا سرف من أهله فشوارع فجنبا أريك فالبلاد الدوافع

وتضم إحدى قصائد النابغة الذبيانى الشطر الثانى برمته (مختار الشعر الجاهلى لمصطفى السقا ١٥٥) . وسرف : موضع يبعد ما بين ستة إلى اثنى عشر ميلا من مكة . وسراوع : موضع . وأريك : واد فى بلاد بنى مرة أو جبل إلى جنب النقرة أو فى ديار غنى . والتلاع : جمع تلعة ، وهى مجرى الماء من أعلى الوادى. والدوافع : التى تدفع وتهبط إلى الوادى .

(٢) التزيين : فمكة . والتصريح والمعانى الكبير ومعجم ما استعجم : فمكة فالأخساف أخساف ظبية . وغيقة : موضع بين مكة والمدينة . والأخياف : جمع خيف ، وهو ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل . وظبية : موضع بين ينبع وغيقة . والمخرف : موضع الإقامة فى الخريف . والمربع : موضع الإقامة فى الربيع .

(٣) ابن عساكر : اليوم حم لقاؤها . والتزيين : بلادى . وحم : قدر وقضى

(٤) خلا عن أنيسه : كذا فى التزيين . وفى الأمالى : خلاء أنيسه . وعند ثعلب وابن منظور وابن عساكر : قليل أنيسه . وعند ثعلب وابن عساكر : خلاء تخطته العيون . والجزع : محلة القوم أو جانب الوادى ومنعطفه . وعفا : درس وامحى . والخوادع : التى لا تنام .

٥ ولما بدا منها الفراقُ . كما بدا ... بظهر الصَّفا الصَّلْد الشُّقوق الشَّوائع(١)
تمنيتَ أن تلقى لُبَيْناكَ . والمُنى ... تُعاصيك أحيانا ، وحينا تُطاوع
وما من حبيبٍ وامقٍ لحبيبه ... ولا ذى هوى إلا له الدهر فاجع(٢)
وطار غرابُ البَيْنِ وانشقَّتِ العصا ... ببَيْنٍ كما شقَّ الأَديمَ الصوانع(٣)
ألا يا غراب البين قد طرت بالذى ... أُحاذر من لبنى ، فهل أنت واقع(٤)
١٠ وإنك لو أبلغتها قِيلَكَ : اسلمى ... طوتْ حَزَنًا وارفضَّ منها المَدامع(٥)
تُبكِّى على لبنى وأنت تركتها ... وكنت كَآتٍ غَيَّه وهْو طائــع(٦)

(١) ثعلب واللسان وابن عساكر : فلما ... الصوادع . والصفا : الحجر الصلب الضخم . والشوائع : المستطيرة المفترقة أو الظاهرة . وقال ابن منظور عن الصوادع : « يجوز أن يكون صدع فى معنى تصدع لغة ولا أعرفها ، ويجوز أن يكون على النسب أى ذات انصداع وتصدع » .

(٢) الأغانى : فليس محب دائما لحبيبه ولا ثقة . والتجريد : فما من محب دائم لحبيبه ولا ثقة . والبيت عند ثعلب وابن عساكر :

فما من حبيب دائم لحبيبـــــه ... ولا صاحب إلا به الدهر فاجع

(٣) ثعلب وابن عساكر : وصاح غراب البين . اللسان : وناح . التصريح واللسان والتزيين : لبين . الزهرة : بلبنى . التزيين : الصواقع . وانشقت العصا : أى تفرق الأمر .

(٤) الحماسة البصرية : فما أنت صانع .

(٥) التزيين : قيلى . وقيلك : قولك . وارفض : سال وتفرق ، يصف الدموع .

(٦) التزيين : أتبكى . والأغانى والتجريد : أتبكى . التجريد : فكنت . الأغانى والتجريد : كآت حتفه . وابن عساكر : كآتى غيه . والزهرة :

أتبكى على لبنى وأنت تركتها ... فقد ذهبت لبنى فما أنت صانع ؟

ومثله فى المصارع مع القراءة التالية : وأنت قتلتها * فقد هلكت .

فلا تَبْكِيَنْ فى إثرِ شىءٍ ندامةً ... إذا نَزَعتْه من يديك النَّوازع[(١)]

فليس لأمرٍ حاول اللهُ جَمْعَــه ... مُشِتٌّ ، ولا ما فَرّق اللهُ جامع[(٢)]

طمعتَ بليلى أن تَرِيعَ وإنمــا ... تُقطِّع أعناقَ الرجــال المطامع[(٣)]

١٥ كأنك لم تَغْنَهْ إذا لم تُلاقِهـا ... وإنْ تَلْقَها فالقلبُ راضٍ وقانع[(٤)]

فيا قلبُ خَبِّرْنى إذا شَطَّت النوى ... بلبنى وصَدَّت عنك، ما أنت صانع[(٥)]

أتصبر للبَيْنِ المُشِتِّ مع الجَوَى ... أَمَ انت امرؤ ناسى الحياءِ فجازع[(٦)]

فما أنا إنْ بانت لبينى بهاجعٍ ... إذا ما استقلَّت بالنيام المضاجع[(٧)]

وكيف ينام المرءُ مُسْتشعِرَ الجوَى ... ضجيعَ الأَسَى فيه نِكاسٌ رَوادعُ[(٨)]

٢٠ فلا خير فى الدنيا إذا لم تُواتنا ... لبينى ولم يجمع لنا الشملَ جامع[(٩)]

(١) التزيين : عن يديك . الأغانى والتجريد :

فلا تبكين فى إثر لبنى ندامــة ... وقد نزعتها من يديك النوازع

(٢) الأغانى والتجريد والحماسة البصرية : وليس . ومشت : مفرق .

(٣) هذا البيت عن الحماسة البصرية وحدها ، والأرجح أنه للبعيث . وتريع : ترجع .

(٤) التصريح : تغن . والتزيين : تقنع .

(٥) الأغانى والتجريد : ويا قلب ... وبانت عنك . وشطت : بعدت . والنوى : النية .

(٦) ابن عساكر : المشت عن الهوى .

(٧) التزيين : سليمى . الأغانى :

فما أنت إذ بانت لبينى بهاجــع ... إذا ما اطمأنت بالنيام المضاجع

وهاجع : نائم .

(٨) بسط المسامع : تعاوره منها نكاس روادع . والنكاس : جمع نكس ، وهو المرض المعاود . والروادع : جمع رادعة ، وهى التى تردعه عن الحركة والتصرف .

(٩) التزيين : إذا لم تزورنا . تحريف .

أليست لبيني تحت سقف يُكِنها ... وإياى ؟ هذا إنْ نأَتْ لِيَ نافع(١)

ويلْبِسُنا الليــلُ البهيمُ إذا دَجا ... ونبصر ضوءَ الصبح والفجرُ ساطع(٢)

تَطا تحت رجليها بساطا وبعضُه ... أَطَاهُ برجلي ، ليس يطويه مانع(٣)

وأفرحُ إن تُمسى بخير وإنْ يكن ... بها الحَدَثَ العادى تَرُعْنِي الروائع(٤)

كأَنك بِدْعٌ لم تر الناس قبلها ... ولم يَطَّلِعْكَ الدهرُ فيمن يطالع(٥)

فقد كنتُ أَبكى والنَّوَى مطمئنةٌ ... بنا وبكم مِنْ عِلْمِ ما البَيْنُ صانع(٦)

وأَهجركم هجْرَ البغيضِ ، وحُبُّكم ... على كبدى منه كُلومٌ صَوادِع(٧)

فواكبدى من شدة الشوق والأَسى ... وواكبدى إنى إلى الله راجـــع(٨)

---

(١) السمط والتصريح : إذ نأت . ويريد بالسقف هنا السماء .

(٢) التصريح : ويلبسها ... وتبصر . والسمط : ضوء الفجر . ويلبسنا الليل : يشملنا فيستّرنا . ودجا : ألبس بظلمته كل شيء . وعقب فى السمط على البيتين فقال : « هذا من أيسر ما يقنع به المشوق ويتعلق به المتتوق . وهذا نحو قول جحدر اللص :

أليس الليـــل يجمع أم عمرو ... وإيانا فــذاك بنــا تـــدان

نعم ، وترى الهلال كما أراه ... ويعلوها النهار كما علانى »

(٣) تطا : مخفف الهمزة من تطأ . وفى الأمالى : تطأ ، مهموزا مجزوما .

(٤) التصريح : الحدث الغادى . والعادى : النازل الواثب . وترعنى : تفزعنى .

(٥) اللسان : قبلهم . التزين : ولن يطلعنك . التصريح : يطلعك الناس . التجريد : فيما يطالع . وقال اللسان : « اطلع عليهم اطلاعا واطلعه وتطلعه : علمه . وطالعه إياه فنظر ما عنده » .

(٦) الحماسة البصرية : لقد كنت . الأغانى والتجريد : وقد . والتزين :

وقد كنت أبكى والنوى لا أظنه ... بنا وبكم لم ندر ما البين صانع

والنوى هنا الدار .

(٧) ثعلب والتجريد واللسان وابن عساكر : شئون صوادع . والكلوم : الجروح .

(٨) البيت عن التزين وحده .

٣٠ وأعجَلُ للإشفاق حتى يَشُفَّنى مخافةَ شَحْط الدار والشَّمْلُ جامع (١)
وأَعْمِدُ للأرض التى من ورائكم لِيَرْجِعَنى يوما عليك الرَّواجع (٢)
فيا قلبُ صبرا واعترافا لما ترى ويا حُبَّها قَعْ بالذى أنت واقع (٣)
لَعَمرى لَمَنْ أمسى وأنتِ ضَجيعُه من الناس ما اخْتِيرتْ عليه المضاجع (٤)
ألا تلك لبنى قد تراخَى مَزارُها وللبين غَمٌّ ما يزال ينازع (٥)
إذا لم يكن إلا الجَوى فكَفَى به جوى حُرَقٍ قد ضُمِّنَتْهَا الأَضالع
٣٥ أبائنةٌ لبنى ولم تَقْطَعِ المَدَى بوصلٍ ولا صُرْمٍ فييأَسَ طامع (٦)
يَظَلُّ نهار الوالِهِين نهاره وتَهْدِئُه فى النائمين المضاجع (٧)

(١) ثعلب واللسان والتاج وابن عساكر : بالإشفاق ... مخافة شعب الدار . والبيت فى الأغانى والتجريد :
وأشفق من هجرانكم وتروعنى مخافة وشك البين والشمل جامع
(٢) الأغانى والتجريد : التى لا أريدها . والأغانى والتجريد والتزيين : لترجعنى يوما إليك .
(٣) التصريح : فاعترافا . والتجريد : واعترافا بحبها . وفسر صاحب اللسان الاعتراف هنا بالصبر .
(٤) ابن قتيبة : لعمر الذى يمسى . الأغانى وابن عساكر : ولبنى ضجيعة . وفسر صاحب اللسان الشطر الثانى بأن « معناه ما اختيرت (أى فضلت) على مضجعه المضاجع ، وقيل : ما اختيرت دونه » .
(٥) الأغانى والتجريد :
فتلك لبنى قد تراخى مزارها وتلك نواها غربة ما تطاوع
(٦) الصرم : القطيعة والفراق .
(٧) الأغانى والتزيين والتجريد والسمط :
نهارى نهار الواهين صبابة وليلى تنبو فيه عنى المضاجع
الواله : الشديد الحزن الذى يكاد يفقد عقله . وتهدئه : تسكنه وتهدئه .

سواى ؛ فلَيْلى من نهارى ، وإنما — تُقَسَّمُ بين الهالكين المصَـارع(١)
ولولا رجاءُ القلب أنْ تَعْطِفَ النوى — لما حَمَلَتْه بينهـن الأَضـالع(٢)
له وَجَبات إثْرَ لبنى كأنهــا — شَقائقُ بَرْقٍ فى السّحاب لوامــعُ
٤٠ نهارى نهـارُ الناس حتى إذا دجا — لىَ الليلُ هَزَّتنى إليك المضاجع(٣)
أُقضِّى نهارى بالحـديث وبالمُنَى — ويجمعُنى بالليـل والهَمَّ جامع(٤)
وقد نشأَتْ فى القلب منكم مودةٌ — كما نشأت فى الراحتين الأصابع(٥)
أَبَى اللهُ أنْ يَلْقَى الرشادَ مُتَيَّمٌ — ألا كلّ أمرٍ حُمَّ لا بُدَّ واقــع

---

(١) الأغانى والتزيين والتجريد والسمط : وقد كنت قبل اليوم خلوا وإنما . وقال البكرى : « وهذه الرواية أحسن وأجود اتساق لفظ ومعنى ، لأن البيت الأول فى رواية أبى على مضمن واللفظ مستكره متكلف » .

(٢) الأغانى والتجريد :

فلولا رجاء القلب أن تسعف النوى — لما حبستــه بينهن الأضـــالع

(٣) التجريد والتزيين : إذا بدا . الأغانى والتجريد : فى السماء . والوجبات : الخفقات . وذكر البكرى أن أبا عمر يوسف بن هارون الرمادى الشاعر الأندلسى ضمن هذا البيت بعض أشعاره فقال وأحسن :

نهارى إطراق وليلى زفــرة — ولست كما قال الكذوب المخادع
نهارى نهار الناس حتى إذا دجا — لى الليل هزتنى إليك المضاجع

(٤) فى أكثر المصادر : ويجمعنى والهم بالليل جامع .

(٥) فى التصريح والتجريد :

لقد ثبتت فى القلب منك مودة — كما ثبتت فى الراحتين الأصابع

ومثله فى أكثر المراجع مع خلاف فى ألفاظ ، ففى الأغانى : رسخت ، وفى الحماسة البصرية : محبة .

هما برّحا بى مُعْوِليْن كلاهمـا · فؤادٌ وعينٌ مأْقُها الدهرَ دامـع(١)

٤٥ إذا نحن أنفدْنا البكـاء عشيةً · فموعدُنا قَرْنٌ من الشمس طالع(٢)

وللحبِّ آياتٌ تبَيَّنُ بالفـتى · شُحوبٌ وتعْرَى من يديه الأَشاجع(٣)

وما كلُّ ما مَنَّتْك نفسُك خاليا · تُلاقى . ولا كلُّ الهوى أنت تابع(٤)

تداعتْ له الأحزانُ من كل وجهةٍ · فحَنّ كما حَنَّ الظُّؤارُ السَّـواجع(٥)

وجانبَ قرْبَ الناس يخلو بهَمِّه · وعاوده فيهـا هُيـامٌ مُراجـع(٦)

٥٠ أراك اجتنبتَ الحيَّ من غير بِغْضةٍ · ولو شئت لم تَجْنَحْ إليك الأصابع(٧)

---

(١) التجريد : هما تركانى . الأغانى والتجريد : وعين جفنها . والتصريح : ومأق دمعها . وبرح به : أتعبه وأجهده . والمعول : الباكى . ومأق العين : مجرى الدمع منها مما يلى الأنف .

(٢) فموعدنا قرن من الشمس طالع : أى صباح اليوم الآتى .

(٣) ابن عساكر : فى الفتى شجونا . واللسان : شحوبا . التزيين : وتبرى من يديه . تحريف . وتبين : تظهر . والأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف أو هى عروق ظاهر الكف . ويريد بعريها أن يديه تهزلان ويذهب ما عليهما من لحم .

(٤) الأغانى والتجريد : فما . والحماسة البصرية : فما ... وما . والتزيين :
وما كل ما منيت نفسك خاليا · تلاقى ولا كل الذى أنت صانع

(٥) التصريح : له الإخوان . تحريف . التزيين : حن الطيور . وتداعت : أقبلت وتجمعت . وحن : صوت عن حزن . والظؤار : النوق العاطفة على ولد غيرها . والسواجع : التى تمد حنينها على جهة واحدة .

(٦) الهيام : داء يأخذ البعير مثل الحمى . فيسخن جلده ويكثر شربه للماء وينحل جسمه .

(٧) تجنح : تميل .

كأَنَّ بلادَ الله ما لم تـكن بهـا — وإن كان فيها الخَلْق — قَفْرٌ بَلاقـع (١)

أَلا إنمـا أَبكى لما هو واقـع — وهل جَزَعٌ من وَشْكِ بينِك نافع؟ (٢)

أَحالَ علىّ الدهرُ من كل جانب — ودامتْ ولم تُقلِع علىّ الفجائع (٣)

فمن كان محزونا غـدا لفراقنا — فمِلْآن فَلْيَبْكِ لمـا هو واقع (٤)

---

(١) التصريح : ولو كان . والأغانى والتزيين : فيها الناس . والتجريد : الناس وحش بلاقع . والحماسة البصرية : وإن حل فيها الخلق وحشا بلاقع . وبلاقع : جمع بلقع ، وهى الأرض القفر .

(٢) الأغانى والتجريد : فهل جزعى من وشك ذلك . والوشاك : القريب السريع .

(٣) الأغانى :

أحال على الهم من كل جانب . ودامت فلم تبرح على الفواجع

وأحال على : يريد صرف الدهر المصائب إلى .

(٤) التزيين : مذ الآن . وملآن : أى من الآن .

٣٩

قال العتبي : حدثني أبي قال : حج قيس بن ذريح ، واتفق أن حجت لبنى فى تلك السنة ، فرآها ومعها امرأة من قومها ، فدهش وبقى واقفًا مكانه ومضت لسبيلها . ثم أرسلت إليه بالمرأة تبلغه السلام وتسأله عن خبره . وقضى الناس حجهم وانصرفوا . فمرض قيس فى طريقه مرضا شديدا أشفى منه على الموت ، فلم يأته رسولها عائدا لأن قومها رأوه وعلموا به . فقال :

أَلُبْنَى لقد جَلَّتْ عليك مصيبتى	غداةَ غدٍ إذ حـلَّ ما أتوقَّـع
تُمَنِّينَنِي نيْـلا وتَلْوِينَنِى بـه	فنفسىَ شوقا كلَّ يومٍ تَقَطَّع (١)
وقلبكِ قَطُّ ما يَلين لمـا يرى	فواكبدى قد طال هذا التضرع
ألومكِ فى شأنى وأنتِ مُليمـةٌ	لعمرى وأَجْفَى للمحب وأقطع (٢)
٥ أَخُبِّرتِ أنى فيكِ مَيْتٌ حَسْرتى	فما فاض من عينيك للوَجْد مَدْمَع (٣)

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ٢٠٢ . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٧٢ (عدا ٣،٤) . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٥٠ (١،٢،٤،٥،١٠) .

الشرح :

(١) النيل : العطاء . ولوته به : جحدته وماطلته .

(٢) مليمة : تأتين بما تلامين عليه .

(٣) الأنطاكى : وأخبرت أنى فيك مت بحسرة . والحموى : مت بحسرتى .

ولكن لعمرى قد بكيتُكِ جاهدا   وإن كان دائى كلُّه منكِ أجمع
صبيحةَ جاء العائداتُ يَعُدْنَنِي   فظلّتْ علىّ العائداتُ تَفَجَّـعُ(١)
فقائلةٌ : جئنا إليه وقد قضَى   وقائلة : لا ، بل تركناه يَنْزِعُ(٢)

وروى القَحْذَميّ ها هنا :

فما غَشِيَتْ عينيكِ من ذاك عَبْرةٌ   وعينى على ما بى بذكراكِ تدمع(٣)
١٠ إذا أنتِ لم تَبْكِى علىّ جنـازةً   لديكِ فلا تبكى غدا حين أُرْفَع(٤)

فبلغتها الأبيات ، فجزعت جزعا شديدا ، وبكت بكاء كثيرا ، ثم خرجت إليه ليلا على موعد فاعتذرت وقالت : إنما أبقى عليك وأخشى أن تُقتَل ، فأنا أتحاماك لذلك ، ولولا هذا لما افترقنا . وودعته وانصرفت .

---

(١) العائدات : اللائى زرنه فى مرضه .

(٢) الحموى : وقائلة بل قد تركناه ينزع .

(٣) الحموى : لذكراك .

(٤) جنازة : مشرفا على الموت . وأرفع : أى للدفن .

٤٠

قال القالى فى الأمالى : أنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال : أنشدنا أبو الحسن بن البراء قال : أنشدنى إبراهيم بن سهل لقيس بن ذريح . قال : والناس يَنْتَحِلونها غيره ؛ وبعضهم يصححها له . وأنشدنا أبى عن أحمد بن عبيد عن أبى عمرو الطيبانى عن قيس المجنون :

المصادر :

القالى : الأمالى ١ : ١٣٦ . أبو الفرج : الأغانى ٩ : ٢١٤ (٥،٧،١–٣، ٦،١٦،١٩،٢٠،١٠،٨،١٣،١٤،١٥،١٨) . ابن الشجرى : الحماسة ١٥٧ (٥،١٠،١٥،٦،١٣،١٤،٧) . البكرى : التنبيه ٥٢ (١١) ، ومعجم ما استعجم ٣٣٧ (١١) . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٨٢ (١٧،١٨) . السيوطى : شرح شواهد المغنى ٢٨٥ (٥–٧) . الراغب الأصفهانى : محاضرات الأدباء ٢ : ٣٩ (١٦،١٩) .

واشتد الاختلاف بين الرواة فى هذه المقطوعة أيضا ، فنسبها أكثرهم إلى أكثر من واحد . فعل ذلك القالى كما هو مبين فى صدرها . ونسبها الجاحظ : الحيوان ٣ : ٢٠٧ ، ٥ : ١٩٣ (٨،٩،١٣،١٤،١٩،٢٠) إلى المجنون أوغيره ؛ وأبو الفرج : الأغانى مرة إلى قيس بن ذريح ، وأخرى إلى مجنون ليلى ٢ : ٢٧ (٨،٩،١٦،١٩،٢٠) ،وثالثة إلى جميل بثينة ٨ : ١٢٥،١٢٨ (١٩ ، ٢٠ ، ٦) ؛ والبكرى : سمط اللآلى ١٣٢ ، ٣٧٩ (١،٩،٧،١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٨، ١٣،١٤،١٧،١٨) لعمرو بن حكيم التميمى أو الضحاك بن عمارة أو قيس بن ذريح ؛ والعمرى : مسالك الأبصار مرة إلى قيس بن ذريح ١٤٦/١/٩ (١٧،١٨) . وأخرى لمجنون ليلى ١٤٣/١/٩ (٧) ، وثالثة لجميل ١٣٣/١/٩ (٩،١٩،٦) ؛ وياقوت : معجم البلدان مرة للضحاك بن عقيل الخفاجى ١ : ٨٠٠ (١٧،٢١) ،وأخرى لطهمان بن عمرو الكلابى ٣ : ٢٠٥ (١٩ ، ٢٠) ، وابن منظور : اللسان مرة لمجنون ليلى ٩ : ٤٠٥ (١٩) ومرة لقيس بن ذريح =

سأَصْرِمُ –لبنى –حبل وصلِكِ مُجْمِلا وإن كان صَرْمُ الحبل منك يَرُوعُ(١)
وسوف أُسَلِّى النفسَ عنك كما سَلا عن البلد النائى البعيد نَزِيـــع(٢)
وإن مَسَّنى للضُّر منك كآبــةٌ وإن نال جسمى للفراق خُشوع
أراجعةٌ يا لُبْنُ أيامُنــا الأُلَى بذى الطَّلْحِ أم لا ما لهن رجوع(٣)
٥ سقَى طَلَلَ الدارِ التى أنتمُ بهــا حَيًا ثم وَبْلٌ صَيِّفٌ ورَبيـــع(٤)
يقولون : صَبٌّ ، بالنساء مُوَكَّلٌ وما ذاك من فعل الرجال بديع(٥)

=١٠ : ٤٧ (١٩) . ونسبها لمجنون ليلى وحده . البصرى : الحماسة البصرية ١٨٦ (١٠، ٨، ١٣، ١٤، ١٢، ٧، ١٦، ١٩، ٢٠) ، والمبرد : الكامل ٥٠٤ (١٣، ١٤) وسماه قيس بن معاذ ، وابن طولون : بسط سامع المسامر ٩١ (٨، ١٠، ١٢–١٥، ٧، ١٦، ١٩، ٢٠) ، والذهبى : تاريخ الإسلام ٣ : ٦٦ (٨، ٩، ١١) . وأوردها الأصفهانى : الزهرة ١٨٣ (١٠، ١٥، ٧، ١٦، ١٩، ٢٠) دون عزو . وانظر ديوان جميل ١٢٠ ، وديوان مجنون ليلى ١٩٠ .

الشرح :

كان ثعلب يستحسن هذه القصيدة . وغنى ابن سريج فى البيتين ١٣، ١٤ خفيف ثقيل أول ، وإبراهيم الموصلى فى البيتين ١٧، ١٨ ثانى ثقيل بالبنصر .

(١) الأغانى : حبلك اليوم مجملا . وأصرم : أقطع . والحبل هنا كناية عن الود والوصل . ومجمل : محسن متلطف .

(٢) نزيع : غريب .

(٣) البيت عن الحماسة وحدها ، وأرجح أنه لجميل . وذو الطلح : موضع بين المدينة وبدر .

(٤) كذا ورد الشطر الثانى فى الأغانى والحماسة . وحرف فى شرح السيوطى إلى : حناتم بها منها . وفى الأمالى : بشرق لبنى . والحيا : المطر . والوبل : المطر الشديد . والصيف : مطر الصيف . والربيع : مطر الربيع .

(٥) ابن الشجرى والسيوطى : وهل ذاك . والصب : العاشق ذو الولع الشديد والبديع : الذى لا مثيل له .

مضى زمنٌ والناسُ يستشفعون بى ... فهل لى إلى لبنى الغداة شـفيع

أيا حَرَجات الحىِّ حيث تحمّلوا ... بذى سَـلَمٍ لا جادَكُنَّ ربيع (1)

وخَيْماتُكِ اللاتى بمُنْعَرَجِ اللِّوَى ... بَلِينَ بِلًى لم تُبْلِهُنَّ ربُـوع (2)

إلى اللهِ أشكو نِيَّةً شَقَّت العصا ... هىَ اليومَ شتَّى وهْىَ أمسِ جميع (3)

وما كاد قلبى بعدَ أيامَ جاوزتْ ... إلىَّ بأَجـراع الثُّدِىِّ يَريـــع (4)

فإن انهمال العين بالدمع كلمـا ... ذكَرْتُك وحدى خاليا لَسَريع

فلو لم يَهِجْنى الظاعنون لَهاجَنِى ... حَمائمُ وُرْقٌ فى الديار وُقُـوع (5)

تجَاوَبْن فاستبْكيْن من كان ذا هوًى ... نوائحَ ما تجرى لهن دمـــوع (6)

---

(1) السمط : فيا حجرات . والأغانى : فيا حجرات الدار . والحرجات : جمع حرجة ، وهى مجتمع الشجر . وذو سلم : واد بالحجاز ينحدر على الذنائب على طريق البصرة إلى مكة . وجاد : أمطر . والربيع : مطر الربيع .

(2) المنعرج : حيث ينعرج وينعطف الوادى . واللوى : واد لبنى سليم . وفى السمط : « قال ابن دريد : قوله : لم تبلهن ربوع غلط . والصواب : لم تبله ؛ وله تأويل بعيد يخرج عليه . ذكر أبو على الفارسى فى كتاب التذكرة أنه أراد : لم تبل بلاهن ربوع ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . وقال غيره : إنما قال : لم تبلهن ، لتشبث البلى بالخيمات كما قال الفرزدق [صوابه جرير] :

لما أتى خبر الزبير تواضعت ... سور المدينـــة والجبال الخشع

(3) شقت العصا : فرقتنا . وشتى : مفارقة بعيدة . وجميع : مجتمعة معنا .

(4) معجم ما استعجم واللسان : بأجزاع . والأجراع : جمع جرع ، وهو الرملة السهلة المستوية . والثدى : موضع بتهامة . ويريع : يعود .

(5) ابن الشجرى : ولو . الظاعنون : الراحلون . والورق : جمع ورقاء ، وهى التى يميل لونها إلى الخضرة . والوقوع : التى هبطت على الأرض أو الشجر .

(6) السمط : تداعين . والبيت فى الأغانى وابن الشجرى :

تداعين فاستبكين من كان ذا هوى ... نوائح لم تقـــطر لهن دمـــوع

١٥ لَعَمْرُكَ إنى يومَ جَرْعاء مـالكٍ ... لَعاصٍ لأَمْرِ المُرْشِدِين مُضِيـع(١)

نَدمتُ على ما كان منى ، فقدْتُنى ! ... كما يندمُ المغبونُ حين يبيـع(٢)

إذا ما لحـانى العاذلات بحبهـا ... أَبَتْ كَبِدٌ ممـا أُجِنُّ صَـديع(٣)

وكيف أُطيع العاذلاتِ وَحُبُّهـا ... يُؤَرِّقُنى والعاذلاتُ هُجُـوع(٤)

عدِمْتُكِ من نفْسٍ شَعاعٍ فإننى ... نَهَيْتُكِ عن هذا وأَنتِ جميـع(٥)

٢٠ فقربتِ لى غيرَ القريب وأَشرفتْ ... هناك ثَنـايا ما لهن طُلـوع(٦)

فضَعَّفَنِى حُبِّيـكِ حتى كأَننى ... من الأَهل والمال التِّلادِ خَـليع(٧)

وحتى دعانى الناسُ أَحمقَ مائقا ... وقالوا : مُطيعٌ للضلال تَبوع(٨)

---

(١) الزهرة : لأمر العاذلين . جرعاء مالك : رملة بالدهناء قرب حزوى .

(٢) المحاضرات : على ما فات . الأغانى والسمط والزهرة : منى ندامة . والأغانى والمحاضرات والزهرة : كما ندم . وفقدتنى : يدعو على نفسه بالهلاك .

(٣) المسالك : لحبها . الأغانى والتجريد :

إذا أمرتنى العاذلات بهجرها ... أبت كبد عما يقلن صـديع

ومثله فى السمط مع جعل الشطر الثانى : أبت كبد من قولهن صديع . ولحانى : لامنى . وأجن : أكتم . وصديع : مشقوقة .

(٤) الأغانى : العاذلات وذكرها .

(٥) الشطر الأول فى الأغانى والسمط : فقدتك من نفس شعاع ألم أكن . وفى المحاضرات والزهرة : فقدتك من قاب شعاع . فإننى ونفس شعاع : متبددة من الهموم والأحزان .

(٦) الزهرة : وقربت . أشرفت : علت وارتفعت . والثنايا : جمع ثنية ، وهى العقبة وما لهن طاوع : أى لا يستطاع ارتقاؤها ، وتروى بفتح الطاء ، أى لا يستطيع أن يرتقيها طالع .

(٧) التلاد : القديم الموروث . وخليع : أى كأننى لا أهل ولا مال لى .

(٨) المائق : الأحمق الغبى . وتبوع : أى ملازم لاتباع الضلال .

٤١

قال العُتْبىّ : حدثنى أبى قال : حج قيس بن ذريح . واتفق أن حجت لبنى فى تلك السنة . فرآها ومعها امرأة من قومها . فدَهِش وبقى واقفا مكانه ومضت لسبيلها . ثم أرسلت إليه بالمرأة تبلغه السلام وتسأله عن خبره . فدخلت خباءه وجعلت تحدثه عن لبنى ويحدثها عن نفسه مَلِيًّا . ولم تعْلِمْه أن لبنى أرسلتْها إليه . فسألها أن تبلغها عنه السلام ، فامتنعت عليه . فأنشأ يقول :

إذا طلعتْ شمسُ النهار فسلِّمى فآيةُ تسليمى عليكِ طلوعُها[1]

بعشر تحيات إذا الشمسُ أشرقتْ وعشرٍ إذا اصفرَّتْ وحان رجوعُها

ولو أبلغتْها جارةٌ قولىَ اسلمى بكتْ جَزعًا وارفَضَّ منها دموعها[2]

وبان الذى تخفى من الوجد فى الحَشا إذا جاءها عنى حديثٌ يَرُوعها

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ٢٠٢ . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٧٢ . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٥٠ (عدا ٤) . وعزاها ابن طولون : بسط سامع المسامر ٩١ لمجنون ليلى . انظر ديوانه ١٩٤

الشرح :

غنى فى البيتين الأولين علويه خفيف رمل بالوسطى .

(١) الأنطاكى : فإنى يسلينى عليك طلوعها . تحريف .

(٢) الحموى والأنطاكى : طوت حزنا وارفض منها دموعها .

٤٢

لما أصبح قيس غداة اليوم الذى رحلت فيه لبنى بعد طلاقها ، خرج متوجِّها نحو الطريق الذى سلكته يتنسّم روائحها . فسَنَحتْ له ظبية فقصدها فهربت منه ، فقال :

أَلَا يا شِبْـهَ لبنى لا تُراعِـى ولا تَتيمَّمِى قُلَلَ القِـلاعِ (١)

وهى قصيدة طويلة يقول فيها :

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٩٢ . ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٤٠٠ (٢–٥) . الأصفهانى : الزهرة ١٢٤ (٣–٥؛٧–٨) . ابن عبد ربه : العقد الفريد ٦ : ١٢٥ (٢–٥) . ابن أبى عون : التشبيهات ٣٠٢ (٢–٥) . العينى : المقاصد النحوية ٤ : ٢٥٩ . سيبويه : الكتاب ١ : ٣١٩ (٣) . الشنتمرى : شرح الشواهد ١ : ٣١٩ (٣) . ابن يعيش : شرح المفصل ١٦٢ (٢) . ابن قتيبة : المعانى الكبير ٦٧٠ (٢) . اللسان ٩ : ٤٨١ (٢) .

ونسب شارح الجزولية البيت الثالث لحسان بن ثابت ، ونسبه ابن هشام اللخمى والنحاس لقيس ، وقال الأخير : هو من قصيدة طويلة .

الشرح :

غنى فى هذه الأبيات الغريض من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر ، ومعبد خفيف ثقيل أول بالوسطى ، وشارية فى البيتين الأولين ثقيلا أول آخر بالوسطى ، وابن سريج فى الثانى والسادس رملا بالوسطى ، وسياط فى البيتين الأولين خفيف رمل بالبنصر .

(١) لا تراعى : لا تخافى . والقلل : جمع قلة وهى القمة .

فواكبدى وعاودنى رُداعـــى ... وكان فراقُ لبنى كالجَـــداع(١)

تكنَّفنى الوشـــاةُ فأزعجونى ... فيا لَلهِ لِلْواشِى المُطـــاع(٣)

فأصبحتُ الغـداة ألومُ نفسى ... على شىءٍ وليس بمســتطاع(٢)

٥ كمغبونٍ يَعَـضُّ عـلى يديه ... تبَيَّن غَبْنَـه بعــد البِياع

بدار مَضيعـةٍ تركتْك لبـــنى ... كذاك الحَيْنُ يُهْـدَى للمُضــاع(٤)

وقد عِشْنا نَلَـذُّ العيشَ حينـا ... لَوَ آن الدهرَ للإنســان راع(٥)

ولكنَّ الجميعَ إلى افتـــراق ... وأسبابُ الحتـوفِ لها دواع(٦)

---

(١) التشبيهات : فوا أسفى . والعقد : فواكبدى على تسريح لبنى .. فكان . وكالحداع : كذا فى الشعر والشعراء ، وفى سائر المصادر : كالحداع ، ومعناها غير واضح هنا . والرداع : النكس ، وقيل : وجع الجسد كله . والجداع : الموت .

(٢) الشعر والشعراء والعقد والزهرة : فيا للناس . يستغيث بالله من الواشى المطاع .

(٣) العقد والزهرة : على أمر .

(٤) الحين : الهلاك . وقدم العينى هذا البيت على سابقه .

(٥) الزهرة : نلذ الدهر . وراع : كذا فى الزهرة ، وفى الأغانى : داع ، ولا معنى لها هنا .

(٦) البيت فى الزهرة :

ولكن الجميع إلى زوال ... وأسباب الفراق لهــا دواعى

٤٣

لَعَمْرُكَ إنى لَأَحِبُّ سَــــلْعا   لرؤيتها ومَنْ بجُنُوبِ سَــلْعِ (١)

تَقَرُّ بقُرْبِـــه عيــنى وإنى   لأَخْشَى أن يكونَ يريدُ فَجْعى (٢)

حلفتُ بربِّ مــكةَ والمُصــلَّى   وأيدى السَّابحات غداةَ جَمْع (٣)

لَأَنْتِ عــلى التَّنائى فاعْلميــه   أحبُّ إلىّ من بصرى وســمعى

المصادر :

ياقوت : معجم البلدان ٣ : ١١٧ . أبو الفرج : الأغانى ١٣ : ١٥٥ . دون نسبة . **الأصفهانى** : الزهرة ٣٦١ (٣، ٤) . دون نسبة .

الشرح :

(١) كذا روى الشطر الثانى فى الأغانى . وفى المعجم : لرؤيته ومن أكناف سلع . ولابد من نصب أكناف ، فتعرب ظرفا أو على نزع الخافض ، يريد ومن بأكناف سلع . ومثله ما رواه صاحب اللسان (مادة : تبب) :

أودى السرى بقتاله ومراحه   شهرا نواحى مستتب معمل

وقال : نصب نواحى لأنه جعله ظرفا ، أراد فى نواحى طريق مستتب .

(٢) فجعى : كذا فى الأغانى ، وفى المعجم : نجعى ، تحريف . ورواية الأغانى : بقربها ... تكون تريد .

(٣) رواية الزهرة :

حلفت لها بما نحــت قريش   يمينــا والسوابح يوم جمــع

والسوابح : محرفة عن السوانح . ولعل : نحت ، محرفة ذبحت . والسابحات : الإبل التى تسبح فى سيرها ، أى تسرع . وجمع : منى لاجتماع الحجيج بها .

٤٤

لما رحلت لبنى بعد طلاقها ، وأظلم الليل على قيس ، وانفرد وأوى إلى مضجعه . لم يأخذه القرار وجعل يتململ . ثم وثب حتى أتى موضع خبائها ، فجعل يتمرغ فيه ويبكي ويقول :

بِتُّ والهمُّ يا لُبينى ضَجيعى وجرتْ مُذْ نأيتِ عنى دموعى
وتنفستُ إذ ذكرتك حتى زالت اليومَ عن فؤادى ضلوعى
أتناساكِ كى يُريغَ فؤادى ثم يشتد عند ذاك وُلُوعى (١)
يا لُبينى فَدَتْكِ نفسى وأهلى هل لدهر مضى لنا من رجوع

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٨٧ . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٦٧ . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٤٧ (١ ، ٢ ، ٤) .

الشرح :

غنت فى البيتين الأولين شارية خفيف رمل بالوسطى ، وحسين بن محرز أو هاشم بن سليمان ثانى ثقيل .

(١) يريغ : يحيد ويميل .

٤٥

حننتَ إلى رَيّا ونفسُك باعدتْ مَزارَك من رَيّا وشِعْبا كما مَعًا (١)

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٦ : ٥ . الراغب : محاضرات الأدباء ٢ : ٤٩ (٤) .

وقد اختلفت الرواة فى هذه الأبيات اختلافا كبيرا ، فلم ينسبها إلى قيس بن ذريح غير أبى الفرج والراغب . وقال أولها عنها : « هذه الأبيات التى أولها (حننت إلى ريا) تروى لقيس بن ذريح فى أخباره وشعره بأسانيد قد ذكرت فى مواضعها . ويروى بعضها للمجنون فى أخباره بأسانيد قد ذكرت أيضا فى أخباره . والصحيح فى البيتين الأولين أنهما لقيس بن ذريح ، وروايتهما له أثبت ، وقد تواترت الروايات بأنهما له من عدة طرق ، والأخر مشكوك فيها : أهى للمجنون أم للصمة » . والغريب أن أبا الفرج لم يعرض للأبيات فى أخبار قيس كما وعد .

ونسبها أكثر الرواة إلى الصمة بن عبد الله القشيرى ، كالقالى : الأمالى ١ : ١٩٠ عن الأصمعى ، والبكرى : سمط اللآلى ٤٦٢ (١–٣) ، والبصرى : الحماسة البصرية ١٦٥ . والتبريزى : شرح الحماسة ٣ : ١١٢ ، والمرزوقى : شرح الحماسة ١٢١٥ . والعينى : المقاصد النحوية ٣ : ٤٣١ (١–٣) . والعمرى : مسالك الأبصار ١٩ / ١٦٣ ، وياقوت : معجم البلدان ١ : ٦٣٣ (٤ ، ٥) . والأنطاكى : تزيين الأسواق ١ : ٩٢ . وانظر الطرائف الأدبية للميمنى ٧٦ ، وأمالى اليزيدى ١٤٩

ونسبها إلى مجنون ليلى أبو الفرج : الأغانى ٢ : ٦٦ ، ٦٧ ، والأنطاكى : تزيين الأسواق ١ : ٦٥ . وانظر ديوانه ١٩٨ . ونسبها إلى يزيد بن الطثرية الأصفهانى : الزهرة ١٨١ (١ ، ٢ ، ٤ ، ٥) ، وابن خلكان : الوفيات ٢ : ٣٠٠ ، والسراج : مصارع العشاق ٢ : ٢٠٢ ، عن أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى . وعزا ابن عبد ربه : العقد الفريد ٦ : ٣٣ الأبيات الثلاثة الأخيرة لابن الدمينة : انظر ديوانه ١٧٩ .

الشرح :

عبر ابن خلكان عن إعجابه بهذه الأبيات ، فقال : « وهى أبيات فى غاية الرقة واللطافة » . وغنى فى البيتين الأخيرين منها قرشية الزرقاء لحنا من الثقيل الأول

(١) الشعب : الحى العظيم .

فما حسَنٌ أن تأْتِيَ الأمرَ طائعا　　وتَجزعَ أنْ داعى الصبابة أسْمَعا

* * *

بكتْ عينِيَ اليمنى فلما زجرتُها　　عن الجهل بعد الحلم أسْبَلَتا معا

وأذكر أيامَ الحِمَى ثم أنثنى　　على كبدى من خشيةٍ أنْ تَصدَّعا

فليست عَشِيّاتُ الحِمَى برَواجعٍ　　عليك ، ولكن خَلِّ عينيك تدمعا

٤٦

قال خالد بن جَمَل : فلما طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأن يزوجه امرأة جميلة فلعلَّه أن يسلو بها عن لبنى . فدعاه إلى ذلك فأباه ، وقال :

لقد خفتُ ألا تقْنَع النفسُ بعدها　　بشىءٍ من الدنيا وإن كان مَقْنَعا(١)

وأزجُر عنها النفس إذ حِيل دونها　　وتأْبَى إليها النفسُ إلا تَطلُّعا(٢)

---

(١) أسمع : أسمعك صوته ودعاك . (التبريزى) .

(٢) الراغب : أن تقطعا .

* * *

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٩٦ . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٦٨ . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٤٨ . مجموعة المعانى ٢٠٥ . ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢٧ : ٤٨٢ .

ونسبها الأصفهانى : الزهرة ١٨٩ إلى عبيد الله بن الصمة مع أبيات أخرى .

الشرح :

(٣) الزهرة : النفس دونها . المقنع : ما يقنع المرء به .

(٤) مجموعة المعانى والزهرة : وأعذل فيها النفس . والأنطاكى : أن حيل . وابن عساكر : فتأبى إليها .

الغين

٤٧

بَلِيغٌ إذا يشكو إلى غيرها الهوى   وإنْ هو لاقاها فغيرُ بليغِ

المصادر :

الآمدى : الموازنة ٥٤

الفـاء

٤٨

أُحِبّكِ أَصنافا من الحب لم أجد لها مَثَلا فى سائر الناس يُوصَفُ[١]
فمنهن حبٌّ للحبيب ورحمــةٌ بمعــرفتى منــه بمــا يتكلَّف[٢]
ومنهن أَلا يَعْرِضَ الدهرَ ذكرُها على القلب إلا كادت النفس تتلف[٣]

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ٢١٥ (١-٤) . الأصفهانى : الزهرة ٣٣٤ (١-٦) دون نسبة .

الشرح :

غنى فى البيتين الأولين الحسين بن محرز خفيف ثقيل .

(١) الزهرة : يعرف .

(٢) الزهرة : حب للمحب .

(٣) الزهرة : ألا يخطر الدهر ذكركم . والبيت مثل بيت جميل :

وما ذكرتك النفس يا بثن مرة من الدهر إلا كادت النفس تتلف

(ديوانه ١٣٢) .

وحبٌّ بدا بالجسم واللونِ ، ظاهرٌ　　وحبٌّ لدى نفسى من الروح ألطف
وحبٌّ هو الداءُ العَيــاءُ بعينــه　　له ذِكَرٌ تَعْدُو علىَّ فــــأُدْنَفُ(١)
فلا أنا منه مســتريحٌ فميّت　　ولا هو على ما قد حييتُ مُخفَّف

٤٩

لَعَمْرُكَ لولا البَيْنُ لانْقَطع الهوى　　ولولا الهوى ما حنَّ للبَيْن آلف(٢)

---

(١) فأدنف : أمرض

• • •

المصادر :

ابن منظور : اللسان ١٦ : ٢٠٩ . الزبيدى : التاج ٩ : ١٤٨
ونسبه ابن الميمون فى منتهى الطلب ١ : ١٦٩ لجميل بثينة . وانظر ديوانه١٢٧

الشرح :

(٢) اللسان : لا يقطع الهوى . وأتى المصدران المذكوران بالبيت للاستشهاد على أن البين بمعنى الوصل .

٥٠

قال قيس ليلة رحيل لبنى بعد طلاقها :

قد قلتُ للقلب لا لُبْناكَ فاعترفِ واقْضِ اللُّبانَةَ ماقَضَّيْتَ وانصرفِ(١)

قد كنت أحلف جَهْدا لا أُفارقها أُفٍّ لكثرة ذاك القِيلِ والحَلِفِ(٢)

حتى تكنَّفنى الواشون فافتُلِتتْ لا تأْمَنَنْ أبدا من غشِّ مُكتنِفِ(٣)

هيهات هيهات قد أمستْ مجاورةً أهلَ العَقيق وأمسينا على سَرِفِ(٤)

حَيٌّ يَمانون والبَطْحاءُ منزِلُنـا هذا لعمرك شَمْلٌ غيرُ مؤتلف

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٨١، ١٩١ . البكرى : معجم ما استعجم ٧٣٦
الأنطاكى : تزيين الأسواق ٤٧

الشرح :

الترتيب السابق للأبيات مطابق للأغانى والتزيين . وخالفهما البكرى فجعل الترتيب على النحو التالى ٤، ٥، ٢، ٣ . ولم يورد الأول .

(١) الأنطاكى : واقض لبانة ما قضيت فانصرف . واللبانة : الحاجة .

(٢) البكرى : آليت جهدا .. أف لأكثر . والأنطاكى : زيف القيل .

(٣) البكرى : لا تأمنن أبدا إفلات مكتنف . وجاء بمكتنف على صيغة اسم المفعول لا الفاعل كما هنا . وافتلتت : أخذت بغتة .

(٤) البكرى والأغانى مرة : الحمد لله قد أمست مجاورة . والعقيق وسرف : موضعان .

(٥) الأنطاكى : منزلها . والبكرى والأنطاكى : شكل غير مؤتلف .

القـاف

٥١

قال خالد بن كلثوم : فبلغه أن أهلها قالوا لها : إنه عليل لما به وإنه سيموت فى سفره هذا . (وكان ذلك بعد لقائهما فى الحج) . فقالت لهم لتدفعهم عن نفسها : ما أراه إلا كاذبا فيما يدعى ومتعللا لا عليلا . فبلغه ذلك ، فقال :

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٥ : ١٩٣ ، ٩ : ١٧٨، ٢٠٣ . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٧٣ (عدا ١٢، ١٥، ٢٥) . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٥٠ (٢—٥. ١٦—١٨، ٢١—٢٥. ٢٧) . ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢٧ : ٤٨٨ (١—٣. ٢٢—٢٤. ٥، ٤. ٧. ٦. ٨، —١٠، ٢٧، ١٣، ١٦—١٨، ٢٥، ١٩، ١١، ١٢، ١٤. ١٥. ٢٦. ٢٨) . الأصفهانى : الزهرة ١٨٤ (٩، ١٠) . مجموعة المعانى ١٤٤، ١٥٩ (٩، ١٠) . العمرى : مسالك الأبصار ٩/١/١٤٧ (١، ٥، ٩، ١٠)

ونسب القالى : الأمالى ٢ : ٢٥٧ معظم أبيات القصيدة إلى مضرس بن قرط أو قرظة المزنى ، ووافقه أسامة بن منقذ : لباب الآداب ٤١١ (٢، ٣، ٥، ١، ٤). ونسب أبو الفرج : الأغانى ٢ : ٤٠ والأنطاكى : تزيين الأسواق ١ : ٥٤ البيت الأول لمجنون ليلى . وانظر ديوانه ٢٠٦

التعليق :

كثر الغناء فى هذه القصيدة فتصرف فيها المغنون . فقد غنى معبد فى الأبيات ٢٢، ٢٣، ٣ ثقيلا أول بالخنصر ، فى مجرى البنصر ، وهو أحد أصواته المشهورة التى عرفت باسم مدن معبد . وغنى معبد أيضا ثقيلا أول بالبنصر فى مجرى الوسطى فى البيت الثالث وألحق به بيتين لجرير أو لغيره ، هما :

أتجمـــع قلبا بالعراق فريقـــه ومنـــه بأطلال الأراك فريق =

تكاد بلادُ الله يا أُمَّ مَعْمَــــر   بما رَحُبَتْ يوما علىّ تَضِيقُ (١)
تكذّبنى بالود لبنى وليتهـــا   تُكلَّف منى مثـــلَه فتذوق (٢)
ولو تعلمين الغيب أيقنت أننى   لكم والهدايا المُشْعَرات صديق (٣)
تتوق إليك النفسُ ثم أَرُدُّها   حياءً ومثـلى بالحيـاء حَقيق
٥ أذود سَوامَ النفس عنك وما له   على أحـدٍ إلا عليك طريق (٤)

= فكيف بها لا الدار جامعة النوى   ولا أنت يوما عن هواك تفيق
وغنت بذل خفيف رمل بالوسطى فى الأول والخامس ، وألحقت بينهما البيت التالى :
دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا   بأعين أعـداء وهن صديق
وغنى ابن سريج خفيف رمل بالبنصر فى الثالث . والغريض ثانى ثقيل بالبنصر فى ١٠.٢٣.٢٢ . وابن مسجح فيها أيضا خفيف رمل بالبنصر . وحكم الوادى ثقيلا أول بالسبابة فى مجرى البنصر فى ١٤.١٣.١٠.٩ . والغريض فيها أيضا ثقيلا أول بالوسطى .
واختلف ترتيب الأبيات فى الموضعين اللذين أوردها فيهما أبو الفرج .
(١) الأمالى : وكادت . والعمرى : إذ لم تكن فيها على تضيق .
(٢) ابن عساكر : تحمل منى مثله .
(٣) ابن عساكر : تعلمين العلم ... ورب الهدايا . الهديا : ما يهدى إلى الكعبة من النعم . والمشعرات : المعلمات ، إذ كانوا يطعنونها فى سنامها الأيمن حتى يظهر الدم ويعرف أنها هدايا .
(٤) الحموى وابن عساكر : سوام الطرف . وورد البيت فى الأغانى مرة على النحو التالى :
أذود سوام الطرف عنك وهل لها   إلى أحـد إلا إليك طريـق
وفى المسالك :
أرد سوام الطرف عنك وهل له   على أحـد إلا إليك طريق ؟
وأذود : أدفع . وسوام النفس : ما ترك حرا مهملا منها ، أخذه من سوام الإبل ، وهى الإبل التى تترك حرة فى المرعى .

فإنى وإن حاولتِ صَرْمى وهِجْرتى ... عليك مِنَ احداث الرَّدَى لَشَفيق(١)
ولم أر أياما كأيامنـــا التى ... مَرَرْن علينا والزمانُ أنيـــق
ووعدُكِ إيانا ، ولو قلتِ عاجـلٌ ، ... بعيـــدٌ كما قد تعلمين سحيق(٢)
وحدثتَنى يا قلبُ أنك صابرٌ ... على البَيْن من لبنى فسوف تذوق(٣)
١٠ فمُتْ كَمَدا أو عِشْ سقيما فإنما ... تكلِّفنى ما لا أراك تُطيـــق(٤)
أطعتَ وشاةً لم يكن لك فيهمُ ... خليلٌ ولا جارٌ عليــك شفيق(٥)
فإن تك لمّا تَسْلُ عنهــا فإننى ... بها مُغْرَمٌ صَبٌّ الفؤاد مَشُــوق(٦)
يَهيج بلبنى الداءُ منى ولم تزل ... حُشاشة نفسى للخروج تتــوق(٧)
بلُبْنى أُنادَى عند أول غَشْــية ... ولو كنتِ بين العائدات أُفيق(٨)
١٥ إذا ذُكرت لبنى تَجَلَّتْك زَفْرةٌ ... ويَثْنِى لك الداعى بها فتُفيق(٩)

(١) ابن عساكر : وإنى .
(٢) الحموى : وقد قلت . وابن عساكر : وإن قلت .
(٣) الزهرة : وخبرتنى . والزهرة والمسالك : على الهجر . والحموى ومجموعة المعانى مرة : على البعد . وفى المجموعة مرة أخرى : على النأى . وعند ابن عساكر : على الصد .
(٤) مجموعة المعانى مرة : عش حزينا . والمسالك : تحملنى مالا أراك .
(٥) الحموى : ولا حان .
(٦) ابن عساكر : فإن تسألانى عن لبنى فإننى .
(٧) هذا البيت عن ابن عساكر وحده .
(٨) ابن عساكر :
وأدعى بلبنى حين ألقى غشية ... ولو كنت بين النادبات أفيق
(٩) كذا ورد هذا البيت فى الأغانى مرة ، وورد فى مرة أخرى وفى التجريد هو وسابقه مركبين فى بيت واحد ، على الصورة التالية :
بلبنى أنادى عند أول عشيــة ... ويثنى بهــا الداعى لها فأفيق
وتجلتك : علتك واستبدت بك . وعند ابن عساكر : تجلتك غشية .

شهدت على نفسى بأنكِ غادةٌ ... رَداحٌ وأن الوجه منكِ عَتيـــق (١)

وأنكِ لا تَجزينَنِى بصَحـــابةٍ ... ولا أنا للهجران منكِ مُطِـيق (٢)

وأنكِ قسَّمتِ الفؤادَ فنصـــفُه ... رَهينٌ ونصفٌ فى الحبالِ وَثيق

صَبوُحِى إذا مَا ذَرَّتِ الشمسُ ذكرُكم ... ولى ذكرُكم عند المساء غَبُــوق (٣)

٢٠ إذا أنا عَزَّيْتُ الهوى أو تركتُه ... أتتْ عَبَراتٌ بالدموع تَسوق

كأن الهوى بين الحَيازيم والحَشا ... وبين التَّراقِى واللَّهاة حـــريق (٤)

فإن كنتِ لما تعلمى العلمَ فاسألى ... فبعضٌ لبعضٍ فى الفَعال فَئُوق (٥)

سلى هل قَلانِى من عشيرٍ صحبتُه ... وهل مَلَّ رَحْلِى فى الرفاق رفيق (٦)

---

(١) ابن عساكر : وقد شهدت نفسى بأنك غادة . والرداح : الضخمة الأوراك . والعتيق : الجميل الكريم .

(٢) ابن عساكر : بصبابتى . والأنطاكى :

وأنك لا تجزين منى صحـــابة ... ولا أنا للهجران منك أطيق

(٣) الصبوح : شراب الصباح . وذرت الشمس : برزت . والغبوق : شراب المساء .

(٤) الحيازيم : جمع حيزوم وهو وسط الصدر . والتراقى : العظام التى بين ثغرة النحر والعاتق .

(٥) البيت فى التجريد :

وإن كنت لما تعلمى العلم فاعلمى ... وبعض لبعض فى الفعـــال يفوق

ووافقه الأنطاكى فى الشطر الثانى . وعند ابن عساكر :

وإن كنت لا لا تعلمى العلم فاسألى ... وبعض الرجال للنســـاء ومـوق

(٦) الأنطاكى : من خليل . ومل رحلى : كذا ورد مرة فى الأغانى ، وفى بقية المرات والمصادر : ذم رحلى . وعند ابن عساكر : فى الرحال . وقلانى : كرهنى .

وهل يَجْتَوِى القومُ الكرامُ صحابتى إذا اغْبَرَّ مَخْشِيُّ الفِجاج عَميق(١)

٢٥ وأكتم أســـرار الهوى فأُميتها إذا باح مَزَّاحٌ بهنَّ بَـروق(٢)

سعَى الدهرُ والواشون بينى وبينها فقُطِّع حبلُ الوصل وهو وَثيق

هل الصبر إلا أن أَصُدَّ فلا أَرَى بـأَرضكِ إلا أن يكون طـريق(٣)

أُريد ســلوا عنـكمُ فيردنى عليك من النفس الشَّعاع فريق(٤)

---

(١) يجتوى : يكره . والفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع الواضح .

(٢) ابن عساكر : أحزان الهوى وأميتها . الأنطاكى : يروق . والبروق : الجبان ، أو الذى يلمح بما لا حقيقة له ؛ أو لعله وصفه بذلك من قولهم : فتى براق الثنايا ، إذا وصفوا ثناياه بالحسن والضياء وأنها تلمع إذا ابتسم كالبرق ، يريدون وصف وجهه بالبشر والطلاقة ؛ أو من قولهم : رجل برقان ، بضم الباء، أى براق البدن . وربما كانت الكلمة محرفة عن رواية الأمالى ، وهى : نزوق .

(٣) ابن عساكر : تجور طريق . وقال إن البيت ورد فى نسخة على النحو التالى :

فما الموت إلا أن أموت ولا أرى بأرضك إلا أن تجور طـريق

(٤) هذا البيت عند ابن عساكر وحده . وموضعه تخمينى . فقد وضعه ابن عساكر بعد البيت المذكور فوقه ، وقبل البيت ١٦ . والنفس الشعاع : المتطايرة حزنا .

٥٢

كيف السلوُّ ولا أزال أرى لها ... رَبْعا كحاشيةِ اليّمانِي الْمخْلَقِ(١)

ربعا لواضحـة الجبين غريرةٍ ... كالشمس إذ طلعتْ رَخيمِ المَنْطِقِ(٢)

قد كنتُ أعهدها به فى عـزة ... والعيشُ صافٍ والعِدَى لم تنطق

حتى إذا نطقوا وآذَنَ فيهـمُ ... داعى الشَّتات برحـلة وتفرق(٣)

خَلت الديار فزرتهـا وكأَننى ... ذو حيّـةٍ من سمها لم يَعْرق(٤)

المصادر :

ثعلب : المجالس ٢٨٨ . ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢٧ : ٤٦٧ . الذهبى : تاريخ الإسلام ٣ : ٦١ . ابن منظور : اللسان ١٥ : ١٢٦ (٢) .

الشرح :

(١) الربع : الدار . والحاشية : الطرف . واليمانى : هنا الثوب من صنع اليمن . والمخلق : البالى .

(٢) ابن عساكر : عزيزة . واضحة الجبين : بيضاؤه حسنته . والغريرة : من لا تجربة لها . ورخمت الجارية رخامة فهى رخيمة الصوت ورخيم : إذا كانت سهلة المنطق .

(٣) الذهبى : إذا هتفوا وأذن .

(٤) الذهبى : فكأننى ... لم يفرق . وابن عساكر : فكأننى ذو جنة .

٥٣

يقولون : لبنى فتنةٌ كنتَ قبلها ... بخير فلا تنــدم عليها وطَلِّقِ
فطاوعتُ أعدائى وعاصيتُ ناصِحى ... وأقررْتُ عين الشامت المُتَخلِّق (١)
وَدِدْتُ وبيتِ الله أنى عصيتُهُــم ... وحُمِّلت فى رضوانها كلَّ مُوبِق (٢)
وكُلِّفتُ خوضَ البحر والبحرُ زاخرٌ ... أبيتُ على أثْباج موج مُغَرِّق (٣)
كأنى أرى الناس المحبين بعــدها ... عصــارةَ ماء الحنظــل المُتَفلِّق
فتُنكر عينى بعــدَها كلَّ منظر ... ويكره سمعى بعــدها كل منطق

المصادر :
أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٨٥ . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٦٥ .
الأنطاكى : تزيين الأسواق ٤٧ . الذهبى : تاريخ الإسلام ٣ : ٦٢

الشرح :
(١) الأنطاكى : المتملق . والمتخلق : الذى يتكلف ما ليس من أخلاقه .
(٢) الذهبى : كل موثق . ورضوانها : رضاؤها . وموبق : مهلك .
(٣) الأثباج : جمع ثبج ، وهو معظم الشىء وأوسطه وأعلاه .

٥٤

ذكر القَحْذَمِيّ وابن عائشة وخالد بن جمل أن ابن أبي عتيق صار إلى الحسن والحسين ابني عليّ بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وجماعة من قريش . فقال لهم : إن لي حاجةً إلى رجل أخشى أن يَرُدَّني فيها ؛ وإني أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه . قالوا : ذلك لك مُبْتَذَلٌ منا . فاجتمعوا ليومٍ وعدهم فيه ، فمضى بهم إلى زوج لبنى . فلما رآهم أعْظَم مصيرهم إليه وأكْبره . فقالوا : لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق . قال : هي مقضيّة كائنةً ما كانت . قال ابن أبي عتيق : قد قضيتَها كائنةً ما كانت من ملك أو مال أو أهل ؟ قال : نعم . قال : تَهَب لهم ولي لبنى زوجتك وتطلقها . قال : فإني أُشْهِدكم أنها طالق ثلاثا . فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا : والله ما عرفنا حاجته ، ولو علمنا أنها هذه ما سألناك إياها . وقال ابن عائشة : فعوّضه الحسنُ من ذلك مئة ألف درهم . وحملها ابن أبي عتيق إليه . فلم تزل عنده حتى انقضت عِدَّتُها . فسأل القوم أباها فزوّجها قيسا ، فلم تزل معه حتى ماتا . فقال قيس يمدح ابن أبي عتيق :

جزى الرحمنُ أفضلَ ما يجازي   على الإحسان خيرًا من صديقِ

المصادر :

أبو الفرج : الأغاني ٩ : ٢٢٠ . الحموي : تجريد الأغاني ١ : ١٠٨٤ . البكري : سمط اللآلي ٧١٠ . الأنطاكي : تزيين الأسواق ٥١ . التنوخي : الفرج بعد الشدة ٢ : ١٨١ . الذهبي : تاريخ الإسلام ٣ : ٦٣

فقـد جربت إخوانى جميعـا فمـا أَلْفَيْت كابن أَبى عتيـق
سعى فى جمع شَمْلى بعد صَدْعٍ ورَأْيٍ حِدْتُ فيه عن الطـريق(١)
وأطفأُ لوعـةً كانت بقلبى أَغصَّتْنى حرارتُهـا بريقى(٢)

فقال له ابن أَبى عتيق : يا حبيبى ، أَمْسِك عن هذا المديح ، فما يسمعه أحد إلا ظنَّنى قوّادا .

---

(١) الذهبى والبكرى : ورأى جرت فيه عن طربق . والحموى : ورأى جرت فيه عن طريق . والتنوخى : حرت فيه عن طريق ؛ تحريف .
(٢) البكرى : فأطفأ .

الـلام

٥٥

إذا ذُكِرتْ لبنى تـأوَّه واشتـكى — تـأوُّهَ محمـوم عليـه البَلابلُ(١)

يَبيت ويُضْحِي تحت ظِلِّ منيَّةٍ — به رَمقٌ تبـكى عليه القبائـل(٢)

قتيلٌ للبنى صـدَّع الحبُّ قلبَه — وفى الحب شغـلٌ للمحبين شاغل

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ٢١٣ . الأمالى : القالى ١ : ١٦٢ (٣٠٢) .
السراج : المصارع ١ : ٢٣٥ (٣٠٢) . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٦٦ (٣٠٢)

الشرح :

(١) البلابل : الوساوس .

(٢) الأمالى والسراج :

يبيت ويضحى كل يوم وليلة — على منهج تبكى عليه القبائـل

ومثله فى التزيين ، مع جعله : نبيت ونضحى ...

٥٦

قال فى خاله عمرو بن سَنّة :

أُنبئتُ أنَّ لخالى هَجْمــةً حُبُسا ... كأنهن بجَنْبِ المَشْعَــر النُّصُلُ(١)

قد كنتَ فيما مضى قِدْما تجاورنا ... لا ناقةٌ لك ترعاها ولا جمـــــل(٢)

ما ضَرَّ خالىَ عَمْرا لو تقَسَّمهــا ... بعضُ الحياض وجَمّ البئر مُحتفِل(٣)

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٨٠

الشرح :

(١) الهجمة من الإبل : الجماعة منها تبلغ الأربعين أو فوقها ، أو ما بين السبعين إلى المئة . والحبس : الموقوفة . والمشعر : موضع تأدية مناسك الحج . والنصل : جمع نصيل ، وهو حجر طويل رقيق كهيئة الصفيحة المحددة يشبه به رأس البعير ومقدمه إذا رجف فى سيره .

(٢) قدما : قديما .

(٣) جم البئر : معظم مائه . ومحتفل : ملآن . يريد ماذا يضر خالى لو أصبنا من ماله وهو ثرى مكثر .

٥٧

لما انقضت عِدّة لبنى بعد أن طلقها قيس ، وأرادت الشخوص إلى أهلها ، أُتِيَتْ براحلة لتُحْمَل عليها . فلما رأى ذلك قيس داخَلَه منه أمر عظيم واشتد لَهَفُه ، وأنشأ يقول :

بانت لُبَيْنَى فأنت اليومَ مَتْبُول ... وإنك اليوم بعد الحزم مخبول (١)

فأصبحتْ عنك لبنى اليوم نازحةً ... ودَلُّ لبنى لها الخيرات معسول (٢)

هل تَرْجِعَنَّ نَوًى لبنى بعاقبةٍ ... كما عَهِدْتَ ليالى العشقُ مقبول (٣)

وقد أرانى بلبنى حَـقَّ مُقْتنِـعٍ ... والشملُ مجتمعٌ والحَبْل موصول

فصرتُ من حب لبنى حين أذكرها ... القلبُ مُرْتَهَنٌ والعقل مدخول

أصبحت من حب لبنى بل تَذَكُّرِها ... فى كُرْبةٍ ففؤادى اليوم مشغول

والجسم مِنِّىَ منهـوك لفُرْقتها ... يَبْرِيه طولُ سقامٍ فهو منحول

كأننى يومَ وَلَّتْ ما تـكلمنى ... أخو هيامٍ مُصاب القلب مسلول

أستودعُ اللهَ لبنى إذ تفـارقُنى ... عن غير طَوْعٍ وأمرُ الشيخ مفعول (٤)

المصادر :

القالى : الأمالى ٢ : ٧٦ . أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٩١ (١، ٩، ٤) .

الشرح :

(١) الشطر الثانى فى الأغانى : والرأى عندك بعد الحزم مخبول . ومتبول : ذاهب العقل سقيم .

(٢) الدل : الدلال .

(٣) النوى : الرحلة .

(٤) الشطر الثانى فى الأغانى : بالرغم منى وقول الشيخ مفعول .

٥٨

لما ارتحل قوم لبنى بها بعد طلاقها ، اتبعها قيس مدة . ثم علم أن أباها سيمنعه من المسير معها . فوقف ينظر إليهم ويبكى حتى غابوا عن عينه فكرّ راجعا . ونظر إلى أثر خُفِّ بعيرها فأكبَّ عليه يقبّله ، ورجع يقبل موضع مجلسها وأثر قدمها . وقال وقد نظر إلى آثارها :

أَلَا يا رَبْعَ لبنى ما تقـــولُ ؟ — أبِنْ لى اليومَ ما فَعَل الحُلولُ(١)

فلو أن الديارَ تُجيب صَـــبّا — لَرَدَّ جوابَ الرّبعُ المُحيـــل(٢)

ولو أنى قدَرْتُ غــداةَ قالتْ : — غَدَرْتَ ، ومـاءُ مُقْلتِها يَســيل

نحرتُ النفسَ حين سمعتُ منها — مقالتَها وذاك لهـــا قلــيل

شفيتُ غليلَ نفسى من فِعالى — ولم أغْبُرْ بــلا عقــلٍ أجــول(٣) ٥

كأنى والِــهٌ بفِـــراقِ لبنى — تَهيم بفَقْــد واحدِها ثَــكُول(٤)

أَلَا يا قلبُ وَيْحَك كن جَليدًا — فقد رحَلتْ وفات بهــا الذَّميل(٥)

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٨٧ . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٦٦ (١–١٠٠٤) .

الشرح :

غنى فى الأبيات الخمسة الأولى حسين بن محرز خفيف ثقيل .

(١) الربع : الدار . والحلول : السكان .

(٢) المحيل : الذى قد تحول وتغير .

(٣) أغبر : أمكث .

(٤) الواله : الذاهبة العقل حزنا وحيرة . والثكول : التى مات ولدها .

(٥) الجليد : القوى . والذميل : السير اللين .

فإنك لا تُطيق رجوعَ لبنى ... إذا رحلتْ وإنْ كثُر العَويل

وكم قد عِشْتَ كم بالقرب منها ... ولكنَّ الفراقَ هو السبيل

١٠ فصبرا كلُّ مؤتَلِفَيْنِ يوما ... من الأيام عيشُهما يزول

٥٩

شخص أبو لبنى إلى معاوية بن أبي سفيان فشكا إليه قيسا وتعرُّضَه لابنته بعد طلاقه إياها . فكتب معاوية إلى واليه يُهْدِر دمَه إن ألَمَّ بها وأن يشتد فى ذلك .. فقال قيس :

إنْ تَكُ لبنى قد أتى دونَ قربِها ... حجابٌ منيعٌ ما إليه سبيلُ (١)

فإنَّ نسيم الجوّ يجمع بيننا ... ونُبصر قَرْن الشمس حين تزول

وأرواحنا بالليل فى الحيّ تلتقى ... ونعلم أنا بالنهار نَقيل (٢)

وتجمعنا الأرْضُ القَرارُ وفوقنا ... سماء نرى فيها النجومَ تجول

إلى أن يعود الدهر سَلْما وتنقضى ... تِراتٌ بَغاها عندنا وذُحول (٣)

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ٢٠١ . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٧١ . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٤٩

الشرح :

(١) الأنطاكى : وإن .

(٢) الحموى : فى الحى بالليل . والأنطاكى : بالليل فى الحين . وهى محرفة ونقيل : ننام فى منتصف النهار .

(٣) الأنطاكى : ترات يراها عندنا . وسلما : مسالما . والترات : جمع ترة ، والذحول : جمع ذحل ، وكلاهما بمعنى الثأر والحقد . وبغاها : طلبها .

٦٠

قال العتبى : حدثنى أبى قال : حج قيس بن ذريح ، واتفق أن حجت لبنى فى تلك السنة ، فرآها ومعها امرأة من قومها ، فدّهش وبقى واقفا مكانه ومضت لسبيلها . ثم أرسلت إليه بالمرأة تبلغه السلام وتسأله عن خبره ، فألفته جالسا وحده ينشد ويبكى :

ويومَ مِنًى أعرضتِ عنّى فلم أقل بحاجة نفس عند لبنى مقالُها

وفى اليأس للنفس المريضة راحةٌ إذا النفسُ رامتْ خُطّةً لا تنالُها

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ٢٠١ . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٧٢

٦١

قال البكرى : وأنشد أبو على (١ / ١٦٣ ، ١٦١) :

وما أَنسَ مِ الأَشياء لا أَنسَ قولَها ... وأدمعَها يُذْرِينَ حَشْوَ المَكاحل

تَمَتَّعْ بذا اليوم القصير فإنــه ... رَهِينٌ بأَيام الشهــور الأَطاول

هذا الشعر عزاه أبو تمام إلى قيس بن ذريح . ونسبه ابن الأَعرَابى إلى ابن ميادة ، وذلك أنه أنشد لعلقمة بن عَبَدة :

تراءتْ وأستارٌ من البيت دونها ... إلينا وحانت غفــلة المتفقّــد

بعينىْ مَهــاةٍ يَحْدُر الدمعُ منهما ... بَرِيمين شتى من دموع وإثمــد

ثم قال : فسرقهما ابن ميادة فقال : وما أنس م الأَشياء . . . البيتين

ثم قال : فسرقه بعض المحدثين فقال :

خُذى عُدَّةً للبَيْنِ إنىَ راحــلٌ ... قَرَى أَملٍ يُجديكِ واللهُ صــانعُ

فسَحَّتْ بسِمْطَىْ لؤلؤ خِلطَ إثمد ... على الخد إلا ما تكفُّ الأَصابع

المصادر :

البكرى : سمط اللآلى ٤٢٣

والحماسة التى بين أيدينا تنسبهما إلى ابن ميادة لا قيس ، وكذا فعل أبو الفرج فى الأغانى ٣ : ٢٩٣ . والمعنى المذكور فى الأبيات مشهور تداوله كثير من الشعراء . انظر ديوان جميل ١٢٨ ، ١٦١ ، ١٧٥ .

الميم

٦٢

وللحب آيات تبيِّن للفتى شحوبا وتَعْرَى من يديه الأَشاحمُ(١)

المصادر :

ابن منظور : اللسان ١٦ : ٢١٥

الشرح :

قال ابن منظور : « وفى المثل : قد بين الصبح لذى عينين ، أى تبين . وقال ابن ذريح ... قال ابن سيده : هكذا أنشده ثعلب ، ويروى : تبين بالفتى شحوب » . والبيت محرف ، وصوابه : وتعرى من يديه الأشاجع ، فهو من القصيدة العينية السابقة .

٦٣

لما سمع قيس بزواج لبنى جزع جزعا شديدا وجعل ينْشِج أحرَّ نشيج ويبكى أحر بكاء . ثم ركب من فَوْره حتى أتى مَحَلَّة قومها . فناداه النساء : ما تصنع الآن ها هنا ! قد نُقلت لبنى إلى زوجها ! وجعل الفتيان يعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها وهو لا يجيبهم حتى أتى موضع خبائها . فنزل عن راحلته وجعل يتمرغ فى موضعها ويمرغ خده على ترابها ويبكى أحر بكاء . ثم قال :

إلى الله أشكو فَقْدَ لبنى كما شكا   إلى الله فقدَ الوالدين يتيمُ(١)

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٩٨ . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٧٠ . الأصفهانى : الزهرة ١٦٧ (١٠٧) . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٤٩ (٢٠١) . التنوخى : الفرج بعد الشدة ٢ : ١٨١ (١) . العمر : مسالك الأبصار ١٤٧/١/٩ (٨:١)

قال أبو الفرج عن الأبيات الخمسة الأخيرة : وقد قيل إن هذه الأبيات ليست لقيس وإنما خلطت بشعره ، ولكنها فى هذه الرواية منسوبة إليه . ووردت الأبيات ١-٩،٨،٦،٤ فى مقطوعة فى ديوان مجنون ليلى ، ومنسوبة إليه ٢٤٦،٢٤٤ ، ونسب ابن طولون : بسط سامع المسامر ٩٢،٧٥ البيتين الأولين للمجنون .

الشرح :

غنى ابن جامع فى البيتين الأولين ثقيلا أول بالوسطى ، وعريب فيهما ثانى ثقيل ، ومياسة فى الثالث والرابع خفيف رمل بالبنصر .

(١) فى ديوان المجنون : أشكو حب ليلى . والمسالك : كما اشتكى . والأنطاكى : بعد الوالدين .

يتيمٌ جفـاه الأقربون فجسـمُهُ نحيلٌ وعهـدُ الوالدين قديم (١)

بكت دارُهم من نأْيِهم فتهلَّلتْ دموعى فأَىُّ الجازِعَيْن ألومُ (٢)

أمُستعبرًا يبكى من الشوق والهوى أمَ آخَرَ يبكى شَجْوَه ويَهيم ؟ (٣)

٥ تهيَّضَنى من حب لبنى عـلائقٌ وأصنافُ حبٍّ هَـوْلُهن عظيم (٤)

ومن يتعلق حب لبنى فـؤاده يَمُتْ أو يَعِشْ ما عاش وهو كَليم (٥)

فإنى وإن أجمعتُ عنكِ تجلُّدا على العهـد فيما بيننا لمُقيم (٦)

وإن زمانا شتَّت الشملَ بيننـا وبينـكُم فيه العِـدَى لَمَشُوم (٧)

أفى الحقِّ هذا أنَّ قلبكِ فارغ صحيح وقلبى فى هواكِ سـقيم (٨)

---

(١) البيت فى ديوان المجنون :

يتيم جفـاه الأقربون فعظمه كسير وفقـد الوالدين عظيم

(٢) فى ديوان المجنون : بكت دارهم من فقدهم وتهللت .

(٣) الحموى : يبكى من الحر والجوى . والشطر الأول فى ديوان المجنون :
أهذا الذى يبكى من الهون والبلا . والمستعبر : الباكى . والشجو : الهم والحزن .

(٤) الحموى : هولهن قديم . وتهيضنى : كسرنى وأمرضنى .

(٥) البيت فى ديوان المجنون :

ومن يتهيض حبهن فـؤاده يمت ويعش ما عاش وهو سقيم

وكليم : جريح .

(٦) الزهرة : وإنى وإن أزمعت عنها تجلدا . والحموى : وإنى وإن أزمعت عنك تجلدا . وأجمع وأزمع بمعنى واحد .

(٧) رواية البيت فى المسالك :

وإن زمانا فيـه فرق بيننـا وبينك يا لبنى النوى لمشـوم

(٨) الشطر الثانى فى ديوان المجنون : وقلبى مما قد أجن يهيم .

٦٤

قابلت لبنى قيسا بعد زواجها وزواجه ، فعاتبته على تزوجه . فحلف أنه لم ينظر إليها ملء عينيه ولا دنا منها . فصدَّقته . وقال :

ولقد أردتُ الصبر عنكِ فعاقَنى ... عَلَقٌ بقلبى من هواكِ قديمُ (١)

يبقَى على حَدَث الزمانِ ورَيْبِه ... وعلى جَفائكِ ، إنه لكريم (٢)

فَصَرَمته وصَحَحْتِ ، وهو بدائه ... شَتَّانَ بين مُصَحَّح وسقيم (٣)

وارَبْتِه زمنا فعاذ بحلمه ... إن المحب عن الحبيب حليم (٤)

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ٢١١ . الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٧٩

ونسب أبو الفرج : الأغانى ١٦ : ١٢٠ . والأصفهانى : الزهرة ١٦٦ (١ . ٢) الشعر إلى محمد بن بشير الخارجى . ونسبه البصرى : الحماسة البصرية ١٦٨ (١ . ٢) ، ومجموعة المعانى ١٧١ (٣) والتبريزى : شرح الحماسة ٣ : ١٧٨ (١ . ٢) إلى ابن الدمينة ، وانظر ديوانه ٤٨ . ونسب ابن منظور : اللسان ، مادة علق . البيت الأول . لكثير .

الشرح :

غنت عريب فى هذه الأبيات خفيف ثقيل ، والدارمى خفيف رمل ، ومن الناس من ينسب خفيف الثقيل إليه ، وخفيف الرمل إليها .

(١) العلق : المحبة اللازمة .

(٢) ريب الزمان : صرف الدهر وتقلبه .

(٣) البيت فيه إقواء . وفى الأغانى أيضا :

وجنيت حين صححت وهو بدائه ... شتان ذاك : مصحح وسقيم

وفى مجموعة المعانى :

وعتبت حين صححت وهو بدائه ... شتى العتاب مصحح وسقيم

(٤) الحموى : قاربته ... على الحبيب . وفى الأغانى : فعاد بحلمه ، ورجحت ما أثبته لأنه أليق بالسياق . ووار بته : خاتلته وخادعته . وعاذ : لجأ .

٦٥

أُريد سُلُوًّا عن لبينى وذكرِها ... فيأْبى فـؤادى المُسْتهامُ المُتَيَّمُ
إذا قلت : أَسلوها ، تعرّضَ ذكرُها ... وعاودنى من ذاك ما اللهُ أعـلم
صحا كل ذى ودٍّ علمتُ مكانَه ... سواى ، فإنى ذاهبُ العقل مغرم

٦٦

ويُقِرّ عيـنى وهْى نازحـةٌ ... ما لا يَقَرُّ بعين ذى الحـلمِ (١)
أَنى أَرى وأَظنهـا سـترى ... وَضَح النهـار وعالىَ النجـم (٢)

المصادر :

الذهبى : تاريخ الإسلام ٣ : ٦٤ . ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢٧ : ٤٩٤ وقدم البيت الثالث قبل الثانى .

* * *

المصادر :

الراغب الأصفهانى : محاضرات الأدباء ٢ : ٧٠

والبيتان من قصيدة لأبى صخر الهذلى . انظر بقية أشعار الهذليين ١٠٢ وشرح الحماسة للتبريزى ٣ : ١١٩

الشرح :

(١) الحلم : العقل .

(٢) وضح النهار : ضوءه . يريد أنه يرضيه أن يرى ضوء النهار ونجوم الليل وتراهما هى أيضا ، فيشتركان فى الرؤية ، وإن بعد أحدهما عن الآخر .

النون

٦٧

لما أقبل أبو لبنى بهودج على ناقة وبإبل تحمل أثاثها ، بعد طلاقها. ورأى ذلك قيس ، أقبل على جاريتها فقال : ويحك ! ما دهاني فيكم ؟ فقالت : لا تسألني وسل لبنى . فذهب ليُلِمَّ بخبائها فيسألها ، فمنعه قومها . فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له : مالك وَيْحَكَ تسأل كأنك جاهل أو تتجاهل ! هذه لبنى ترتحل الليلة أو غدا . فسقط مغشيا عليه لا يعقل ثم أفاق وهو يقول :

وإني لمُفْنٍ دمعَ عينيَّ بالبكا حِذارَ الذى قد كان أو هو كائن (١)

المصادر :

أبو الفرج : الأغاني ٢ : ٨٩ ، ٨ : ١٨٥ . الحموى : التجريد ١ : ١٠٦٥ ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٣٦٣ . ثعلب : مجالسه ٢٨٧ . الأنطاكى : تزيين الأسواق ٤٧ . التنوخى : الفرج بعد الشدة ٢ : ١٨٠ . بسط سامع المسامر ٨١ . الجرجاني : الوساطة ٢٧٩ (٣) . الكتبى : فوات الوفيات ٢ : ٢٧٢ . العكبرى : التبيان ٣ : ٢٥٠ (٣) . الذهبى : تاريخ الإسلام ٣ : ٦١ (٢-٣) . ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢٧ : ٤٦٧ (١-٣) . الصفدى : الوافى بالوفيات ١٨٣/٢/٧ (١ - ٣) .

ونسبها ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥ : ٤١٢ ، وابن نباتة : سرح العيون ٢١٠ (١) لمجنون ليلى . وانظر ديوانه ٢٦٢

الشرح :

فى هذه الأبيات غناء لم يحدده أبو الفرج .

(١) ثعلب وابن عساكر : فإني . والشطر الثانى عند ثعلب وابن قتيبة وابن عساكر : حذار الذى لما يكن وهو كائن . وعند أبى الفرج مرة وابن طولون : حذارا لما قد كان ...

وقالوا : غدا أو بعد ذاك بليلةٍ   فراقُ حبيبٍ لم يَبِنْ وهو بائن[١]
وما كنتُ أخشى أن تكون منيتى   بكفَّيْك إلا أن ما حان حائن[٢]

٦٨

قال القحذمى : قال ابن أبى عتيق لقيس يوما : أنشِدنى أحرَّ ما قلت فى لبنى . فأنشده قوله :

وإنى لأهوَى النومَ فى غير حِينِهِ   لعلَّ لقاءً فى المنـام يـكونُ[٣]

(١) الذهبى : ذاك ثلاثة . الكتبى : فراق الذى تهوى وها هو بائن . ويبن : يبعد ويفارق .

(٢) ثعلب والذهبى وابن عساكر : فما ... بكفى . والصفدى والكتبى : بكفاك . والجرجانى : بكفى . وابن قتيبة : بكفى إلا أن من . والأغانى مرة : من حان حائن . وذهب الجرجانى إلى أن دعبلا أخذ من هذا البيت بيته :

لا تأخـذا بظلامتى أحدا   قلبى وطرفى فى دمى اشتركا

ثم أخذ منهما أبو الطيب المتنبى بيته :

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه   فمن المطالب والقتيل القاتـل

* * *

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ٢١٤ . الحصرى : زهر الآداب ٧٠١ . الحموى : تجريد الأغانى١ : ١٠٨١ . ابن عساكر : تاريخ دمشق٢٧ : ٤٩٥ . ابن الشجرى : الحماسة ١٥٨ (١،٣،٤) . الراغب : محاضرات الأدباء ٢ : ٧٣ (١،٢) . ابن طولون : بسط سامع المسامر ٨٤ .

ونسب ابن عساكر تاريخ دمشق ٣ : ٤٠٣ . والقالى : ذيل الأمالى ١٢١ الأبيات (١،٣،٤) لجميل . انظر ديوانه ١٩٨ . ووردت أيضا فى ديوان مجنون ليلى ٢٦٥

الشرح :

(٣) الحموى والحصرى والراغب : وإنى لأهوى النوم من غير نعسة . ٠ قد تحرف نعسة إلى نفسه أحيانا .

تحدثنى الأحلامُ أنى أراكمُ ... فيا ليتَ أحلامَ المنام يقين (١)
شهدتُ بأنى لم أحُلْ عن مودةٍ ... وأنى بكم لو تعلمين ضنين (٢)
وأن فؤادى لا يلين إلى هوًى ... سواك وإنْ قالوا بَلَى سيلين

فقال له ابن أبى عتيق : لَقَلَّ ما رضيتَ به منها يا قيس . قال : ذلك جهد المُقِلّ .

٦٩

تَمَتَّعْ بها ما ساعفتْك ولا تكن ... عليك شَجًا فى الحَلْقِ حين تَبينُ (٣)
وإنْ هى أعطتك اللَّيانَ فإنها ... لآخرَ من خُلّانها ستَلين (٤)
وإنْ حلفتْ لا ينقضُ النأىُ عهدَها ... فليس لمخضوب البَنان يمين

(١) الحصرى والراغب : تخبرنى الأحلام .
(٢) أحل : أتحول .

• • •

المصادر :

البصرى : الحماسة البصرية ١٩٩
وأوردها أبو تمام : الحماسة دون نسبة . انظر شرح التبريزى ٣ : ١٤٩ . وشرح المرزوقى ١٣٠٩ . ولم ينسبها أيضا ابن قتيبة : عيون الأخبار ٤ : ١١٤ . وابن عبد ربه : العقد الفريد ٦ : ١٢٦ ؛ والأصفهانى : الزهرة ٨٧ (٢٠١) . ونسبت إلى كثير فى ديوانه ٢٦٥ .

الشرح :

(٣) المرزوقى : شجا فى الصدر . والأصفهانى : شجا تؤذيك . وساعفتك : وصلتك وقاربتك . والشجا : ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه . وتبين : تفارق .
(٤) التبريزى والمرزوقى : لغيرك من خلانها .

٧٠

قال أبو نواس : أَرْضَى الناسِ قيس بن ذريح فى قوله :

أليس الليلُ يجمعنى وليـــلى ألا يكفِى بذلك من تَــــدانِ

ترى وَضَحَ النهـــار كما أراه ويعـــلوها الظلام كما عـــلانى (١)

المصادر :

الراغب الأصفهانى : محاضرات الأدباء ٢ : ٧٠

أورد ابن أبى حجلة : ديوان الصبابة ٢٠٢ ، والأنطاكى : تزيين الأسواق ٢٣٠ البيتين أو ما قاربهما منسوبين إلى بعض الأعراب . ونسبهما النويرى : نهاية الأرب ٢ : ٢٧٣ إلى ابن المعلوط . وورد البيتان فى ديوان مجنون ليلى ٢٧٧

الشرح :

(١) رواية البيتين فى التزيين وديوان الصبابة :

أليس الليل يجمع أم عمرو وإيانا فـــذاك لنــا تدانى

نعم ، وأرى الهلال كما تـــراه ويعلوها النهـــار كما عـــلانى

وفى الديوان : بنا تدانى . وعزا القالى : الأمالى ١ : ٢٨١ ، والبكرى : السمط ٩٦١،٦١٧ ، وابن ميمون : منتهى الطلب من أشعار العرب ١ : ٢٦٢ . هذين البيتين إلى جحدر اللص . ورووهما فى قصيدة له .

٧١

خرج قيس فى فتية من قومه واعتلَّ على أبيه بالصيد ، فأتى بلاد لبنى ، فجعل يتوقع أن يراها أو يرى من يُرسِل إليها . فاشتغل الفتيان بالصيد ؛ فلما قضَوْا وَطَرَهم منه رجعوا إليه وهو واقف ، فقالوا له : قد عرفنا ما أردتَ بإخراجنا معك وأنك لم تُرِدِ الصيد وإنما أردت لقاء لبنى ، وقد تعذَّر عليك فانصرف الآن . فقال :

وما حائماتٌ حُمْنَ يوما وليـــلةً ... على الماء يَخْشَيْنَ العِصِىَّ حَوَّارِ (١)
عَوافٍ لا يَصْدُرْنَ عنــه لوجهةٍ ... ولا هنَّ من بَرْدِ الحياضِ دَوانِ (٢)
يرَيْن حَبابَ الماء والموت دونــه ... فهن لأَصـــوات السُّقـــاة رَوانِ (٣)

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٨٩

ونسب الحصرى : زهر الآداب ١ : ١٧٦ ، والخالديان : المختار من شعر بشار ٥٤ الأبيات (١ — ٤) إلى جميل . وانظر ديوانه ٢٠١ . ووردت الأبيات جميعا فى ديوان مجنون ليلى ٢٧٣

الشرح :

(١) يخشين : كذا فى ديوان جميل ، وفى الأغانى : يغشين ، تحريف . وحوان : عاطفات على الماء لتشرب منه .

(٢) عوافٍ : جمع عافية ، وهى التى ترد الماء .

(٣) روان : جمع رانية ، وهى التى تديم النظر فى سكون ، ويريد أنها تتسمع إلى أصوات السقاة .

بأَجْهَدَ منى حَرَّ شوقٍ ولوعةٍ   عليك ولكنَّ العدو عَدانى(١)

٥ خليلىّ إنى ميّتٌ أَو مُكلِّمٌ   لُبَيْنى بسرِّى فامْضِيا وذَرانى(٢)

أَنَلْ حاجتى وحدى ويا رُبَّ حاجةٍ   قضيتُ على هَوْلٍ وخوف جَنان(٣)

فإِنَّ أَحقَّ الناسِ أَلا تجاوزوا   وتطَّرِحا من لو يشاء شفانى

ومن قادنى للموت حتى إذا صفَتْ   مشاربُهُ . السمَّ الزُّعافَ سقانى

فأَقاموا معه حتى لقيها .

---

(١) عدانى : صرفنى .
(٢) ذرانى : اتركانى .
(٣) الجنان : القلب .

٧٢

قال القالى : حدثنا أبو بكر بن الأنبارى قال : حدثنى عبد الله بن خلف الدلال قال : قال محمد بن زياد الأعرابى : لما أَلَحَّ ذَرِيح على ابنه قيس فى طلاق لبنى فأبى ذلك قيس ، طرح ذريح نفسه فى الرَّمْضاء (١) وقال : لا والله لا أريم (٢) هذا الموضع حتى أموت أو يخليها . فجاءه قومه من كل ناحية فعظَّموا عليه الأمر وذكَّروه بالله وقالوا : أتفعل هذا بأبيك وأمك ! إن مات شيخك على هذه الحال كنتَ مُعينا عليه وشريكا فى قتله . ففارق لبنى على رغم أنفه وقلة صبره وبكاء منه حتى بكى لهما مَنْ حَضَرهما وأنشأ يقول :

أقول لخُلَّتِى فى غير جُــرْمٍ ... ألَا بِينِى ، بنفسى أنت ! بِينِى(٣)

فوالله العظيم ، لَنَزْعُ نفــسى ... وقَطْـعُ الرِّجْـل منى واليمين

أَحَبُّ إلىَّ يا لبنى فــراقا ... فبَــكِّى للفــراق وأَسْعِدِينى(٤)

ظلمتُكِ بالطلاق بغير جُــرْم ... فقــد أذهبت آخــرتى ودينى

المصادر :

القالى : الأمالى ٢ : ٧٦

الشرح :

(١) الرمضاء : شدة الحر ، والأرض الساخنة من الشمس .

(٢) أريم : أغادر .

(٣) خلتى : زوجتى وحبيبتى . وبنفسى أنت : أفديك بنفسى .

(٤) أسعدينى : عاونينى .

فلما سمعت بذلك لبنى بكت بكاء شديدا ، وأنشأت تقول :

رَحَلْت إليه من بلدى وأهلى   فجازانى جــزاء الخــائنينا
فمَن رانِى فلا يَغْترَّ بعـــدى   بحُــلْوِ القول أو يبْلُو الدَّفينا(١)

٧٣

قال قيس فى رحيل لبنى عن وطنها وانتقالها إلى زوجها بالمدينة وهو مقيم فى حيِّها :

بانت لُبَيْنَى فهاج القلبَ مَنْ بانا   وكان ما وعدتْ مَطْلا ولَيَّانَــا(٢)
وأخلفتْكَ مُنًى قد كنتَ تأْمُلُها   فأَصبح القلبُ بعد البَيْن حيرانا
الله يدرى وما يدرى به أحــدٌ   ماذا أُجَمْجِمُ من ذكراكِ أحيانا(٣)
يا أَكملَ الناسِ من قَرْنٍ إلى قَدمٍ   وأحسنَ الناس ذا ثوبٍ وعُرْيانا(٤)

---

(١) رانى : مخففة من رآنى . ويبلو : يختبر . والدفين : المخفى والمخبوء .

* * *

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ١٩٩

الشرح :

غنى الغريض فى الأبيات الخمسة الأولى ثانى ثقيل مطلقا فى مجرى البنصر . وابن محرز ثانى ثقيل آخر ، ويحيى المكى وعلوية لحنين آخرين .

(٢) بانت : فارقت . وليان : مطل .

(٣) أجمجم : أخفى فى الصدر أولا أبين فى الكلام .

(٤) القرن : الجانب الأعلى من الرأس .

٥ نِعْمَ الضَّجيعُ بُعَيْدَ النوم تَجْلبه ... إليكَ ممتلئا نوما ويَقْظانا

لا بارك اللهُ فيمن كان يَحْسَبُكم ... إلا على العهد حتى كان ما كانا

حتى استفقتُ أخيرا بعد ما نُكحتْ ... كأنما كان ذاك القلب حيرانا

قد زارني طيفكم ليلا فأرَّقني ... فبِتُّ للشوق أُذْرِي الدمع تَهْتَانا(1)

إنْ تَصْرِمِي الحبلَ أَو تُمْسِي مُفارِقةً ... فالدهر يُحدث للإنسان ألوانا(2)

١٠ وما أرى مثلكم فى الناس من بَشَر ... فقد رأيتُ به حَيًّا ونسوانا

---

(١) أذرى الدمع : أسقطه. وتهتان : انصباب.

(٢) تصرمى : تقطعى. والحبل هنا : الصلة والمودة.

الهـــاء

٧٤

بكيتَ ، نعم بكيتُ ، وكلُّ إلْفٍ   إذا بانت قرينتُـــه بكاهـــا
وما فارقتُ لبنى عـــن تَقـــالٍ   ولـــكنْ شِقْوةٌ بلغتْ مَـــداها(١)

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٥ : ٢٠٩ . العمرى : مسالك الأبصار ١٤٧/١/٩ . مجموعة المعانى ١٦٤ (٢) .

الشرح :

غنى فى البيتين ابن جامع ثانى ثقيل بالوسطى . ويحيى المكى ثانى ثقيل آخر بالخنصر والبنصر . وإبراهيم الموصلى ثقيلا أول .

(١) تقال : كره .

اليـــاء

٧٥

قال مؤلف الحماسة البصرية : قال قيس بن المُلَوَّح ، وفيها أبيات تنسب إلى قيس بن ذريح ، وإلى جميل بن معمر العذرى :

وخَبَّرتُمانى أنَّ تَيْمــاء منزلٌ ... لليلى إذا ما الصيف ألقى المَراسيا(١)

فهذى شهورُ الصيفِ عنا قد انقضتْ ... فما للنَّوَى تَرْمِى بليلى المَرَاميــا

أَعُدُّ الليــالى والشهور ولا أرى ... غرامى بكم يزداد إلا تمـــاديا

فيا جبلَىْ نَعْمانَ إنْ آنَ بُعْــدُهم ... فإنى سأَكسوك الدموع الجواريا(٢)

فلو كان واشٍ باليمامــة دارُه ... ودارى بأعلى حضرموتَ اهتدى ليا

المصادر :

اختلف الرواة فى هذه الأبيات اختلافا كبيرا ، ولم أر من نسب منها شيئا إلى قيس بن ذريح إلا صاحب الحماسة البصرية . وأورد الأصفهانى : الزهرة ١٢٢ البيت الخامس مهملا دون عزو . ونسب أبو الفرج : الأغانى ٢ : ١٠ ، ٨ : ١٢٥، ١٥٢ . وابن الميمون : منتهى الطلب ١ : ١٧٣ ، وابن خلكان : الوفيات ١ : ١١٥ ، البيتين الأولين إلى جميل بثينة . وانظر ديوانه ٢٢٠ . ونسب العمرى : مسالك الأبصار ١٤٣/١/٩، ١٤٤ ، والإبشيهى : المستطرف ٢ : ٢١٦ والأنطاكى : تزيين الأسواق ٧١ ، وابن طولون : بسط سامع المسامر ٨٥، ٨٦، ٨٨ ، وابن قتيبة : الشعر والشعراء ٣٦٤ الأبيات (١، ٢، ٥) إلى مجنون ليلى ، وكذلك نسب إليه البغدادى : الخزانة ٤ : ٣٩٥ البيت الخامس . وانظر ديوانه ٢٩٣

الشرح :

(١) تيماء : بلد صغير فى أطراف الشام بينه وبين وادى القرى فى الحجاز .

(٢) نعمان : وادٍ بين أدناه ومكة نصف ليلة . وبالرغم أنى لم أجد من ينسب هذا البيت لمجنون ليلى ، فإنى أميل إلى ذلك ؛ لأنه يكثر من ذكر نعمان ، وإلا فالاسم محرف .

٧٦

أرسلت لبنى إلى قيس رسولا قال له : إنى جارٌ للبنى ، وإنها من الوَجْد بك على حالٍ قد تمنى زوجها معها أن تكون بقربها لتصلح حالها بك . فحمِّلنى إليها ما شئت أُؤدِّه إليها . قال : تعود إلىّ إذا أردت الرحيل. فعاد إليه لما أراد الرحيل . فقال : تقول لها :

المصادر :

أبو الفرج : الأغانى ٩ : ٢٠٧ (١–١٠ ، ١٣–١٧، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٧)
الحموى : تجريد الأغانى ١ : ١٠٧٧ (١–١٠ ، ١٤–١٧، ٢١، ٢٢، ٢٤) .
البصرى : الحماسة البصرية ١٥١ (١٦–٢٠ ، ١٠–١٢، ٧، ٢٣–٢٥، ٥، ٦) .

واختلف أبو الفرج والبصرى فى ترتيب الأبيات . واضطررت إلى وضع الأبيات التى انفرد بها البصرى تخمينا .

وقال أبو الفرج : « وهذه القصيدة تخلط بقصيدة المجنون التى فى وزنها وعلى قافيتها لتشابههما فقلما يتميزان » .

وفعلا نسب القالى : الأمالى ١ : ٢١٥ (١٢، ١١، ٢٣، ٢٤) ، والمبرد : الكامل ١٦٧ (١١، ١٢، ٢٣) ، وأبو تمام : الوحشيات ١٦٧ (٢٣، ٢٥) ، وابن قتيبة : الشعر والشعراء ٣٦٤ (١١، ١٢) ، وعيون الأخبار ٤ : ١٣٩ (١٢، ١١) ، والأصفهانى : الزهرة ٢٦٠، ٣٣٢ (١٢، ١١، ٢٣) ، والعمرى : مسالك الأبصار ٩/١/١٤٤ (١١) ، والعينى : المقاصد النحوية ٣ : ٤٢ (١٦–٢٠، ١١، ١٢، ٢٣–٢٥، ٥، ٦) ، وابن طولون : بسط سامع المسامر ٨٥، ٨٦، ٨٨ (١١، ٢٣، ٢٥، ١٩، ١٢) ، والأنطاكى : تزيين الأسواق ٧١ (٢٥، ١١، ١٩، ١٢) والإبشيهى : المستطرف ٢ : ٢١٦ (١١) إلى مجنون ليلى . وانظر ديوانه ٢٩٣ – ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠١ . ونسب الراغب : محاضرات الأدباء ٢ : ٣٩ البيتين (٢٣، ٢٥) إلى جميل . وأورد الأصفهانى : الزهرة ٢٥٠ الأبيات (١٦ – ١٨) مهملة دون عزو .

ألا حَيِّ لبنى اليومَ إن كنتَ غاديا   وألمِمْ بها من قبل أنْ لا تلاقيَا(١)
وأهْدِ لها منك النصيحةَ إنهـــا   قليلٌ ولا تخْش الوُشاةَ الأدانيا
وقل : إننى الراقصاتِ إلى مِنًى   بأَجْبُلِ جَمْعٍ ينتظرنَ المناديا(٢)
أصونُكِ عن بعض الأُمور مَضَنَّةً   وأخشى عليك الكاشحين الأعاديا(٣)
تَساقطُ نفسى حين ألقاكِ أنفُسا   يَرِدْنَ فما يَصْدُرْنَ إلا صَواديا(٤)
فإنْ أحْيَ أو أهلِكْ فلستُ بزائل   لكم حافظا ما بَلَّ ريقٌ لسانيـــا(٥)
أقول إذا نفسى من الوجد أصْعدتْ   بها زفرةٌ تعتادنى هىَ ما هيـــا
وبين الحشا والنَّحْرِ منى حرارةٌ   ولوعةُ وجدٍ تترك القلب ساهيا :
ألا ليت لبنى لم تكن لى خُـلَّةً   ولم تَرَنِى لبنى ، ولم أدرِ ما هيا(٦)
سَلِى الناسَ هل خبَّرتُ سرَّكِ منهمُ   أخا ثقةٍ أو ظاهرَ الغِشِّ باديـــا

التعليق :

غنى الحسين بن محرز فى البيت الأول والخامس ثقيلا أول بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى .

(١) الغادى : الذاهب فى الغداة ، أى ما بين الفجر وطلوع الشمس .

(٢) الراقصات . الإبل التى كأنها ترقص فى سيرها من السرعة . وجمع : المزدلفة .

(٣) مضنة : بخلا وصيانة . والكاشحون : الذين يضمرون العداوة .

(٤) يردن : يأتين الماء . ويصدرن : يرجعن عنه . والصوادى : جمع صادية ، وهى العطشى .

(٥) الحموى : ريقى .

(٦) خلة : صديقة .

وأخرج من بين البيوت لعلّنى أُحدِّث عنك النفسَ فى السرِّ خاليا(١)

وإنى لأَستغشِى وما بىَ نَعْسَــةٌ لعلَّ خيالا منك يَلْقى خيــاليا(٢)

يقول لىَ الواشون لما تظــاهروا عليكِ وأضحى الحبلُ للبينِ واهيا :(٣)

لعَمْرى لَقَبْلَ اليوم حُمِّلتَ ما ترى وأُنْذِرت من لبنى الذى كنتَ لاقيا(٤)

١٥ خليلىّ مالى قد بَلِيتُ ولا أَرَى لُبَينى على الهجران إلا كما هيــا(٥)

أَلا يا غرابَ البَيْن ما لك كلمــا ذكرت لُبَينى طِرْتَ لى عن شِماليا(٦)

أَعندكَ علمُ الغيبِ أَم لست مُخْبِرى عن الحى إلا بالذى قد بدا ليا ؟

فلا حملتْ رِجْلاك عُشًّا لبيضة ولا زال عظمٌ من جناحك واهيا(٧)

أُحبُّ من الأَسماء ما وافق اسمها وأَشْبَهه أَو كان منه مُــدانيا

٢٠ وما ذُكرتْ عندى لها من سَمِيَّةٍ من الناس إلا بَلَّ دمعى ردائيا

جزعتُ عليها لو أَرى لىَ مَجْزَعا وأَفنيتُ دمعَ العين لو كان فانيا(٨)

(١) خاليا : منفردا .

(٢) أستغشى : أطلب النوم .

(٣) الحبل هنا : الصلة والمودة .

(٤) الحموى : لعمرك لفيك اليوم حملت ما أرى .

(٥) البصرى : تذكرت لبنى . يشير إلى عادة العرب فى التشاؤم بالطير الذى يطير عن شمال الرجل .

(٦) البصرى : أم أنت مخبرى . والحموى : عن الحق . والبيت فى الزهرة :
أعندك علم الغيب أم أنت مخبرى بحق عن الأمر الذى قد بدا ليا ؟

(٧) الشطر الثانى فى الزهرة : ولا زال ريش من جناحك باليا .

(٨) مجزعا : جزعا .

حياتَك لا تُغْلَبْ عليها فإنه كفَى بالذى تَلْقَى لنفسِك ناهيا

أشوقا ولمّا تَمْضِ لى غيرُ ليلةٍ رُوَيْدَ الهوى حتى يغُبَّ لياليا

تمرُّ الليالى والشهور ولا أرَى وَلُوعى بها يزداد إلا تماديا(١)

٢٥ فقد يجمع الله الشَّتيتَيْن بعدما يظنان كلَّ الظن أنْ لا تلاقيا

فما عن نَوَال من لبينى زيارتى ولا قلةُ الإلمام أنْ كنتُ قاليا(٢)

ولكنها صَدَّتْ وحُمِّلْتُ من هوًى لها ما يَئُود الشامخاتِ الرواسيا(٣)

انتهى الديوان

والحمد لله عز وجل

(١) البصرى : غرامى بكم يزداد إلا تماديا .

(٢) النوال : العطاء . وقاليا : كارها .

(٣) يئود : يرهق . والشامخات : الجبال المرتفعة . والرواسى : الجبال العظيمة .

الفهارس

كشاف الأماكن

الأُراك : شجر من الحمض له حمل كحمل عناقيد العنب ، من أطيب ما ترعى الماشية ، وتتخذ منه المساويك الجيدة . وسمى به موضع قريب من مكة ، اختلفت عبارة من أراد تحديده . فقال الأصمعى : أراك : جبل لهذيل . وقال محمد بن حبيب : أراك : فرع من دون ثافل يدفع فى الصوق ، والصوق يدفع فى غيقة . وقال نصر : أراك : فرع من دون ثافل قرب مكة . وقال البكرى : موضع بعرفة ... فالأراك من موافف عرفة من ناحية الشام ، ونمرة من مواقف عرفة من ناحية اليمن. وقال ياقوت : قيل : هو موضع من نمرة فى موضع من عرفة ... وقيل : هو من مواقف عرفة ، بعضه من جهة الشام ، وبعضه من جهة اليمن : ١٢٧

أُريك : قال أبو عبيدة : الأريك : الجبل الصغير . وقال الأخفش : إنما سمى أريكا لأنه جبل كثير الأراك . والاسم صالح إذن لأن يطلق على أكثر من موضع ، وقد حدث فعلا . فهناك أريك الفوارس . وأريك الأسود ، وأريك الأبيض أو الأحمر . واشتهر من هذه الأماكن : أريك : موضع فى ديار بنى غنى بن يعصر . وقال أبو عبيدة : أريك : فى بلاد ذبيان . وقال غيره : أريك : جبل قريب من معدن النقرة ، شق منه لمحارب وشق لبنى الصادر من بنى سليم . ولعل المراد ما عرفه الهمدانى بأنه بمكة : ١٠٢

الأَزْهَر : ذكر ياقوت موضعين بهذا الاسم ، أحدهما باليمامة ، والثانى — وهو المقصود — موضع على أميال من الطائف : ١٧

أَمَج : قال أبو المنذر هشام بن محمد : أمج وغران : واديان يأخذان من حرة بنى سليم ويفرغان فى البحر . وأطلق الاسم أيضا على قرية جامعة كثيرة المزارع والنخل وبها سوق ، من أعراض المدينة . قال الوليد ابن العباس القرشى : خرجت إلى مكة فى طلب عبد آبق لى فسرت سيرا شديدا حتى وردت أمج فى اليوم الثالث غدوة . وأهلها خزاعة : ١٣ — ١٥

بَدْر : أطلق هذا الاسم على عدة أماكن فى بلاد العرب ، ولكن المراد هنا أشهرها ، وهو ماء بين مكة والمدينة ، أسفل وادى الصفراء ، بينه

وبين الجار على ساحل البحر الأحمر ليلة ، قال البكرى : على ثمانية وعشرين فرسخا من المدينة . وقال ياقوت : بين بدر والمدينة سبعة برد . وقال المسعودى : بين بدر والمدينة ثمانية برد وميلان : ١١٣

البَصْرة : ميناء العراق : ١١٤،٥٢

البَطْحاء : كل موضع متسع . وقد أطلق اسما على عدة مواضع ، المراد منها بطحاء مكة : ١٢٦

بِيشَة : قال البكرى : بيشة : واد من أودية تهامة . وقال يعقوب : بيشة وتربة ورنية والعقيق : أودية تنصب من جبال تهامة مشرقة فى نجد . والأصح أنها تنصب من جبال الحجاز . وأطلق الاسم على قرية فى ذلك الوادى أيضا . قال ياقوت : بيشة : قرية غناء فى واد كثير الأهل من بلاد اليمن ، على خمس مراحل من مكة ، وتبعد عن تبالة فى شمالها أربعة وعشرين ميلا : ٥٧،٣٠

تِهامة : قال أبو المنذر : تهامة : تساير البحر ، يريد الأحمر . وقال المقدسى : أما اليمن فقسمان ، ما كان نحو البحر فهو غور ، واسمه تهامة ... وقال الاصطخرى وابن حوقل : أما تهامة فإنها قطعة من اليمن ، جبال مشتبكة ، أولها مشرف على بحر القلزم مما يلى غربيها ، وشرقيها بناحية صعدة وجرش ونجران ، وشماليها حدود مكة ، وجنوبيها من صنعاء على نحو من عشر مراحل : ١١٤

تَيْماء : مدينة كثيرة النخل والتين والعنب ، فى الطريق بين الشام والحجاز ، فى شمالى تبوك ، بينها وبين أول الشام ثلاثة أيام ، وبينها وبين وادى القرى فى الشمال ٤ ليال ، وبينها وبين تبوك ٧ ليال : ١٥٨

ثَبِير : بالحجاز أربعة جبال تدعى بهذا الاسم ، المراد منها ثبير مكة . وهو جبل مشرف من أعظم جبال مكة ، بينها وبين عرفة ، يرى من منى والمزدلفة : ٥٩

الثُّدَى : قال ياقوت : قال نصر : موضع بنجد . وأنا أحسبه بالشام لأن جميلا ذكره وكان منازله بالشام . وقال البكرى : موضع بتهامة ، واعتمد فى هذا القول على شعر قيس بن ذريح : ١١٤

الجار : ساحل المدينة على البحر الأحمر ، وقرية كثيرة القصور والسكان على شاطئ البحر فيما يوازى المدينة ، وعلى مسيرة يومين منها ،

وبينها وبين بدر مرحلة ، وبينها وبين الجحفة مرحلتان أو ثلاث ، وهى ميناء إلى الجنوب من ينبع ، نصفها على الساحل ونصفها فى جزيرة من البحر ، ترفأ إليها السفن من الحبشة ومصر وعدن والصين والهند : ١٥

الْجُحْفة : قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة . قال الاصطخرى : بينها وبين البحر نحو من ميلين . وقال ابن خرداذبة : البحر منها على ثمانية أميال . وقال البكرى : بين الجحفة والبحر نحو من ستة أميال . وذكر ابن حوقل : أن من جدة إلى ساحل الجحفة نحو خمس مراحل وقال ياقوت : بينها وبين أقرن موضع من البحر ستة أميال . وقال ياقوت : بينها وبين المدينة ست مراحل . وقال السكرى : على ثلاث مراحل من مكة . وقال المقدسى يصف المواضع التى يمر بها المسافر من مكة إلى المدينة : ثم إلى الخيم مرحلة ثم إلى الجحفة مرحلة ثم إلى الأبواء مرحلة ... وتأخذ من الجحفة إلى بدر مرحلة . وذكر ابن خرداذبه : أن بينها وبين قديد ٢٧ أو ٢٦ ميلا : ٥٧

جَرْعاء مالك : لم يذكرها غير ياقوت ، وقال : قال أبو زياد : رملة . وقال الحفصى : بالدهناء قرب حزوى : ١١٥

جَمْع : اسم للمزدلفة ، ذكر البكرى واللغويون : أنها سميت بذلك للجمع بين صلاتى المغرب والعشاء فيها . وذكر ياقوت : أنها سميت بذلك لاجتماع الناس بها : ١١٩ ، ١٦٠

الحجاز : الجبال الممتدة من اليمن إلى الشام ، وإنما سميت حجازا لأنها حجزت بين تهامة ونجد : ٧ ، ١١ ، ٢١ ، ١١٤ ، ١٥٨

الحَجون : الجبل المشرف بأعلى مكة . قال السكرى : من البيت على ميل ونصف وقال السهيلى : على فرسخ وثلث : ٥٩

حُزْوَى : اختلفت الأقوال التى أوردها البكرى وياقوت فى تحديد هذا الموضع . وليس منها ما يقرب من المواضع التى يذكرها قيس . قالا : موضع فى ديار بنى تميم . وقال الأزهرى : جبل من حبال الدهناء . ولعله السابق . وقال الأحول : حزوى وخفان : موضعان قريبان من السواد . وقال محمد بن إدريس بن أبى حفصة : باليمامة : ١١٥

حَضْرَمَوْت : إقليم واسع فى شرقى عدن بقرب المحيط الهندى . تفصل بينهما رمال : ١٥٨

الْخَيْف : ارتفاع وهبوط فى سفح جبل أو غلظ ، ولذلك يقع اسما مضافا إلى مواضع كثيرة ، أشهرها المراد هنا ، وهو خيف منى ، وقال عنه ابن حوقل : فى أقل من وسط منى مما يلى مكة ، والجمرة الأولى والوسطى فوق مسجد الخيف : ٩٣

الدار : يتضح من قصة مضاض ومية أنه موضع قريب من مكة ، ولم أعثر عليه ، وإنما ذكر الجغرافيون أن هذا الاسم كان يطلق على المدينة : ١٦

الدَّهْناء : قال محمد بن حبيب : رمال فى طريق اليمامة إلى مكة ، لا يعرف طولها ، وأما عرضها فثلاث ليال ، وهى على أربعة أميال من هجر . وأدق من عبارته أنها حبال من الرمل ، الحبل منها يكون ميلا وأكثر ، وبين كل حبلين شقة ليس بها من الرمل شىء ، تكون فرسخا عرضا وأكثر ، من أكثر بلاد العرب كلأ ، وتمتد من الأحقاف إلى أطراف بادية الشام ، ويطلق عليها أسماء شتى فى البقاع المختلفة : ١١٥

الدَّوْحتان : لم أجده فيما بين يدى من مراجع ، ولا يفهم من قصة مضاض ومية أنه علم على الموضع الذى أطلق عليه : ١٦ — ١٨

الذَّنائب : ثلاث هضبات بنجد . على طريق البصرة إلى مكة ، عن يسار فلجة للمصعد إلى مكة : ١١٤

ذو الأَثْل : موضع بودان ، بين مكة والمدينة : ٣٠، ٥٧

ذو سَلَم : جعله البكرى قريبا من قديد بين المدينة ومكة . وقال ياقوت : واد ينحدر على الذنائب ، على طريق البصرة إلى مكة : ١١٤

ذو الطَّلْح : لم تذكر المراجع التى بين يدى ذا الطلح بسكون اللام ، وإنما ذكرته مفتوحها ، وذكرت أيضا الطلح بسكونها ، وذكرت أنه واد بين المدينة وبدر ، ولعله المقصود : ١١٣

زَمْزَم : ٦١ ، ٦٢

سُرَاوِع : لم يذكره غير ياقوت ، وقال عنه : علم مرتجل لاسم موضع . فلم يبينه وضبطه بضم أوله وكسر الواو ، ولم يشر إلى رواية الفارسى فى ضبطه بفتح السين . ولم يذكر أحد شراوع أيضا التى قيل إن الاسم حرف إليها : ١٠٢

سَرِف : موضع على الطريق بين مكة ومر الظهران ، على ستة أميال أو سبعة أو تسعة أو اثني عشر ميلا من مكة : ٢١، ٦٧، ١٠٢، ١٢٦

سَلْع : السلع : الشق فى الجبل كهيئة الصدع أو الطريق فيه . وفى بلاد العرب مواضع كثيرة بهذا الاسم . ولكن اشتهر منها الجبل المتصل بالمدينة : ١١٩

الشام : ٣١ ، ١٥٨

شراوع : ذكر فى لسان العرب أن العامة تسمى سراوع : شراوع ، ولم أجده فى المراجع التى بين يدى : ١٠٢

صَنْعاء : عاصمة اليمن وأكبر مدنها : ٤٠

الطائف : مدينة صغيرة كثيرة الشجر والثمر ، طيبة الهواء ، فواكه مكة وبقولها منها ، وهى على ظهر جبل غزوان ، إلى الجنوب من مكة ، على مسيرة يوم منها أو اثنى عشر فرسخا : ١٨

ظَبْية : اسم عدة مواضع فى بلاد العرب ، لعل المراد الهضبة التى بين ينبع وغيقة بساحل البحر الأحمر : ١٠٢

العراق : ١٢٧

عَرَفة : هى عرفات : ٥٩، ٦٢

غَيْقة : أورد البكرى وياقوت عدة أقوال فى تعريفها ، ويبدو أنها جميعا تشير إلى موضع واحد . قيل : موضع بظهر حرة النار لبنى ثعلبة ابن سعد بن ذبيان . وقيل : بين مكة والمدينة فى بلاد غفار . وقيل : خبت فى ساحل بحر الجار ، فيه أودية ، ولها شعبتان ، إحداها ترجع فيها والأخرى فى يليل . وهو بوادى الصفراء . وقال ابن السكيت : حساء على شاطئ البحر فوق العذيبة . وقال فى موضع آخر : مويهة عليها نخل بطرف جبل جهينة الأشقر . ولعل غيقة إذن موضع بين مكة والمدينة ، على ساحل بحر الجار : ١٠٢

قُباء : موضعان ، أحدهما على طريق مكة والبصرة ، والثانى وهو المراد قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة منها : ٦٧

قُدَيد : قرية على الطريق بين المدينة ومكة ، أقرب إلى الأخيرة . ذكر ابن خرداذبه أنها بينها وبين الجحفة ٢٧ أو ٢٦ ميلا ، وبينها وبين عسفان

نَعْمان : قال البكرى : وادى عرفة دونها إلى منى . وأدق من ذلك أنه واد بين مكة والطائف . قال الأصمعى : بين أدناه ومكة نصف ليلة ، وقيل : على ليلتين من عرفات . وذكر ابن خرداذبه أنه بين عرفات وعقبة حراء : ١٥٨

النَّقْرة : بقعة على الطريق بين مكة والمدينة والكوفة ، عندها تفترق الطرق ؛ بينها وبين العباسية ١٥ ميلا . وبينها وبين قرورى ١٧ ميلا ، وبينها وبين الحاجز ٢٧ ميلا ، وبينها وبين المغيثة فى طريق مكة ٢٧ ميلا ، وبينها وبين العسيلة فى طريق المدينة ٤٦ ميلا : ١٠٢

وادى القُرَى : واد على الطريق من المدينة إلى الشام ، بين الحجر والبيضاء والرحبية ، من أعمال المدينة : ١٥٧،٤٠

وَجْرَة : موضع على الطريق بين مكة والبصرة بين مران وأوطاس ، قال السكونى : بينه وبين مكة مرحلتان . وقال الأصمعى وعمارة بن عقيل : على ثلاث مراحل من مكة . وقال السكرى : دون مكة بثلاث ليال : ٤١

وَدّان : قرية جامعة من نواحى الفرع ، على الطايق من مكة إلى المدينة ، قريبة من الجحفة ، بين الأبواء وعقبة هرشى ، قال أبو زيد : ودان من الجحفة على مرحلة . بينها وبين الأبواء على طريق الحاج فى غربيها ستة أميال . وقيل : ثمانية أميال . وبينها وبين هرشى ستة أميال ، وقيل خمسة : ٥٧

يَثْرب : المدينة .

اليمامة : واد كثير الشجر والنخل ، بينها وبين البحرين عشرة أيام ، وهى معدودة من نجد : ١٥٨

اليمن : ٩، ١١، ٥٧، ١٣٢

يَنْبُع : ميناء بين مكة والمدينة ، يصب واديها فى غيقة ، على سبع مراحل من المدينة ، وعلى ليلة من جبل رضوى : ١٠٢

فهرس القوافى

فهرس الأشخاص

فهرس القبائل والجماعات

مصادر الشعر ومراجع الدراسة

الآمدي : المؤتلف والمختلف ، طبع ١٣٥٤ هـ .

: الموازنة بين الطائيين ، مطبعة السعادة ١٩٥٤

الإبشيهي : المستطرف في كل فن مستظرف ، طبع بولاق ١٢٦٨هـ

أحمد راتب النفاخ : ديوان ابن الدمينة ، نشر مكتبة دار العروبة ١٣٧٩ هـ

أسامة بن منقذ : لباب الآداب ، المطبعة الرحمانية ١٩٣٥

الاصطخري : مسالك الممالك ، طبع ليدن ١٩٢٧

الأصفهاني محمد بن داود : الزهرة ، مطبعة اليسوعيين ببيروت ١٩٣٢

الباقلاني : إعجاز القرآن ، طبع دار المعارف ١٣٧٤ هـ

البصري علي بن أبي الفرج : الحماسة البصرية ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٢٥٠ أدب .

البغدادي عبد القادر بن عمر : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، طبع ١٢٩٩هـ

البكري : التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٦

: سمط اللآلي في شرح الأمالي ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦

: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

التبريزي : شرح حماسة أبي تمام ، طبع بولاق ١٢٩٦ هـ

أبو تمام : الوحشيات ، أو الحماسة الصغرى ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٢٢٩٧ أدب .

التنوخي : الفرج بعد الشدة ، مطبعة الهلال ١٩٠[illegible]

ثعلب : المجالس ، طبع دار المعارف [illegible]

الجاحظ : الحيوان ، طبع مصطفى البابي الحلبي وأولاده .

الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، طبع صيدا ١٣٣١ هـ

الجرجاوي : شرح شواهد شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . المطبعة الميمنية ١٣٠٨ هـ

ابن أبي حجلة : ديوان الصبابة ، على هامش تزيين الأسواق .

حسان أبو رحاب : الغزل عند العرب . مطبعة مصر ١٩٤٧

حسين نصار : ديوان جميل . دار مصر للطباعة .

الحصري : زهر الآداب وثمر الألباب . طبع دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣

ابن حوقل : صورة الأرض ، طبع ليدن ١٩٣٨

الخالديان : المختار من شعر بشار ، مطبعة الاعتماد ١٩٣٤

ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، طبع ليدن ١٨٨٩

ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، المطبعة الميمنية ١٣١٠ هـ .

داود الأنطاكي : تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق . المطبعة البهية ١٣٠٢ هـ .

الذهبي : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام . مطبعة السعادة ١٣٦٨ هـ .

: سير أعلام النبلاء . الجزء الرابع ، المجلد الأول . مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢١٩٥ ح .

الراشدي : التصريح في شرح قصيدة كثير وابن ذريح ، طبع شتو تجارت ١٩٢٢ وقد نشره Schwarz : Escorial. Studien

الراغب الأصفهاني : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء . مطبعة إبراهيم المويلحي ١٢٨٧ هـ

ابن رشيق : العمدة في صناعة الشعر ونقده . مطبعة السعادة ١٩٠٧

الزبيدي : تاج العروس . المطبعة الخيرية ١٣٠٦ — ٧ هـ .

زكي مبارك : العشاق الثلاثة العدد ٢٦ من اقرأ

الزمخشري : أساس البلاغة ، طبع دار الكتب المصرية ١٩٢٢

سامى الدهان : الغزل . من فنون الأدب العربى ، طبع دار المعارف ١٩٥٤

السراج جعفر بن أحمد : مصارع العشاق . طبع بيروت ١٩٥٨

سيبويه : الكتاب . طبع بولاق ١٣١٦ هـ .

ابن سيده : المخصص ، طبع بولاق ١٣١٧ هـ .

السيوطى : شرح شواهد المغنى . المطبعة البهية .

ابن الشجرى : الحماسة . طبع حيدر آباد ١٣٤٥

شكرى فيصل : تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام . مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٩

الشنتمرى : شرح الشواهد . على هامش كتاب سيبويه .

الصفدى : تشنيف السمع . مطبعة الموسوعات ١٣٢١ هـ .

: الغيث المنسجم فى شرح لامية العجم . المطبعة الأزهرية ١٣٠٥ هـ .

: الوافى بالوفيات ، الجزء السابع . المجلد الثانى . مخطوط بدار الكتب المصرية . تحت رقم ١٢١٩ تاريخ .

طه حسين : حديث الأربعاء . المطبعة التجارية الكبرى . ومطبعة دار الكتب المصرية . ١٩٢٦

ابن طولون : بسط سامع المسامر . مخطوط بدار الكتب المصرية . تحت رقم ٣٧٥ مجاميع تيمورية .

عباس محمود العقاد : جميل بثينة . العدد ١٣ من اقرأ .

: شاعر الغزل . العدد ٢ من اقرأ .

العباسى : معاهد التنصيص . مطبعة السعادة ١٣٦٧ هـ .

ابن عبد ربه : العقد الفريد ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .

عبدالستار أحمد فراج : ديوان مجنون ليلى . دار مصر للطباعة .

العدوى : فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل . على هامش شرح الخرجاوى .

ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق . مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٤٩٢ تاريخ .

العسكري : ديوان المعاني ، نشر مكتبة القدسي ١٣٥٢ هـ .
العكبري : التبيان في شرح الديوان ، أو شرح ديوان المتنبي ، طبع مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٩٣٦
العمري : مسالك الأبصار ، مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥٩ معارف عامة .
ابن أبي عون : التشبيهات ، طبع كمبردج ١٩٥٠
العيني : المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المعروف بشرح الشواهد الكبرى ، على هامش خزانة الأدب .
أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، طبع دار الكتب المصرية ، وبولاق .
فلهوزن : أشعار الهذليين ، ما بقي منها في النسخة اللغدونية غير مطبوع ، طبع برلين ١٨٨٤
القالي : الأمالي ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٦
: ذيل الأمالي والنوادر ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٦
ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، طبع ليدن ١٩٠٢
: عيون الأخبار طبع دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ .
: المعاني الكبير في أبيات المعاني ، طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ١٩٤٩
قدامة بن جعفر : الخراج ، طبع ليدن ١٨٨٩
ابن قيم الجوزية : روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، مطبعة الترقي ١٣٤٩هـ
ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ، مطبعة السعادة .
ابن ماكولا : الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٨ مصطلح الحديث .
المبرد : الكامل ، طبع ليبسك ١٨٦٤
مجموعة المعاني : مطبعة الجوائب ١٣٠١ هـ .

محمد بن شاكر الكتبى : فوات الوفيات ، مطبعة السعادة ١٩٥١
المرتضى الشريف : الأمالى ، مطبعة السعادة ١٩٠٧
المرزبانى : الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء ، المطبعة السلفية ١٣٢٤٣ هـ .
المرزوقى : شرح ديوان الحماسة ، طبع لجنة التأليف والنشر .
مصطفى السقا : مختار الشعر الجاهلى ، طبع مصطفى البابى الحلبى وأولاده ١٩٤٨
المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، طبع ليدن ١٩٠٦
ابن منظور : لسان العرب ، طبع بولاق .
الميمنى : الطرائف الأدبية ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧
ابن الميمون : منتهى الطلب من أشعار العرب ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٥٣ أدب ش .
ابن نباتة المصرى : سرح العيون ، شرح رسالة ابن زيدون ، طبع مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، ١٩٥٧
النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، طبع دار الكتب المصرية
الهجرى : التعليقات والنوادر ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤٢ لغة .
الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، مطبعة السعادة ١٩٥٣
ابن واصل الحموى : تجريد الأغانى ، مطبعة مصر ١٩٥٧
الوشاء محمد بن إسحاق : الموشى فى الظرف والظرفاء ، طبع ليدن ١٨٨٦
ياقوت : معجم البلدان ، طبع ليبسك ١٨٦٩
اليزيدى : الأمالى ، طبع حيدر آباد ١٩٤٨
ابن يعيش : شرح المفصل ، طبع ليبسك ١٨٨٢

محتويات الكتاب

دار مصر للطباعة
٣٧ شارع كامل صدقي
سعيد جودة السحار وشركاه

رقم الإيداع ٧٩/٢٣٠٠
الترقيم الدولى ٠–٣٥٢–٣١٦–٧٧